

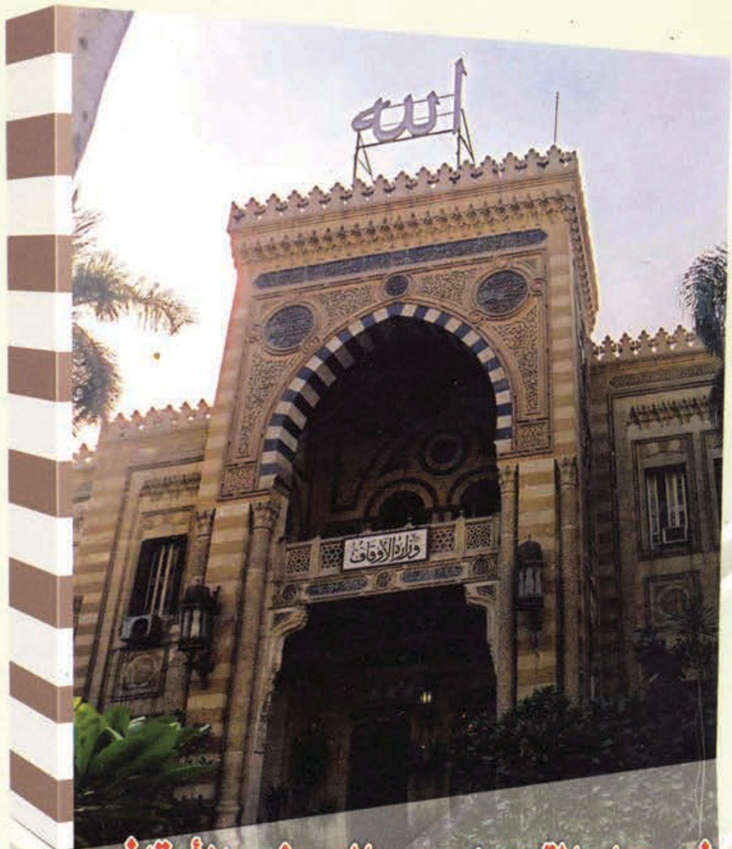
التوحيد

مجلة إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٤٩٨ - السنة الثانية والأربعون- جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ

الثمن جنيهان

السقوط الإعلامي وثماره الخبيثة

تحذير الأنام من فتنة الإعلام



في حوار التوحيد مع معالي وزير الأوقاف:

على الداعية أن يملأ منصبه ليكون ملء السمع والبصر !!



- الغزو الشيعي بين خيانات الماضي وأحلام الحاضر
- وحدة الكلمة والحذر من الفُرَقة

السلام عليكم

السقوط الإعلامي ... وثماره الخبيثة

أيها الإعلامي؛ يا من تسميتَ باسم: «الإعلامي»، أو: «الناشط السياسي»، نعلم أن فيكم منصفين، وقليل ما هم، لكنك جعلت هذا الاسم؛ «الإعلامي» مبررًا لك وشفيعًا لأن تكون حياتك كلها للجدل والكلام، سريع الغضب، شديد النقد، سليط اللسان، سَبَّاق وحريص - ليس إلى الخيرات ولا إلى مغفرة من الله وجنة عرضها السموات والأرض- وإنما تسابق إلى تطبير الأخبار دون تحرٍّ ولا تثبُّت!!

والقصد كل القصد هو السبق الصحفي والإعلامي، ولو كان على حساب سمعة الصالحين، ومصالح المساكين، واستقرار بلاد المسلمين.

ألم تعلم أن الكلمة قد تخرج بدون تحرٍّ ولا اهتمام فيُحبسُ قائلها في النار سبعين سنة؟! وهي ليست كلمة واحدة!!

أين عملكم وإنتاجكم ومشروعاتكم التي تخدم البشرية؟! غيَّرتم الأسماء كما غيَّرها إبليس، فوقعتم في تلبيسه، فسميتم أنفسكم «إعلاميين»، وسمتكم الشريعة «دعاة الفتنة».

وقلتم: «السبق الإعلامي والصحفي»، وسمته الشريعة: الرجل يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق.

وسميتم الخوض فيما يعنيكم وما لا يعنيكم «المشاركة الصحفية وواجب المهنة»، وسماها الشرع «الرويبضة»؛ وهو الرجل التافه يتكلم في أمر العامة والدولة.

وسميتم تتبع عورات الناس: «البحث عن الحقيقة»، وتوعد الله من يفعل ذلك بأن يفضحه ولو في قعر بيته.

وأخيرًا سميتم هتك الأستار وكشف الأسرار: «تغطية إعلامية»!!

التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة

د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

التحرير

٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي: q.tawheed@yahoo.com

السنة الثانية والأربعون
العدد ٤٩٨ – جمادى الآخرة ١٤٣٤

في هذا العدد

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة «حساب رقم ١٩١٥٩٠/».

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية
مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

شبهات القائلين بالبدعة الحسنة والـــرد عليها

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين.

وبعدُ:

فقد تحدثت في اللقاء السابق عن البدعة، وبينتُ من خلال النصوص النبوية وفهم الأئمة أن كل البدع مذمومة، وأنه لا توجد بدعة توصف بأنها حسنة، والدافع لي من وراء ذلك: تعظيم النصوص الشرعية، والوقوف عندها، وعدم تجاوزها، والاعتراف بمكانة النبي صلى الله عليه وسلم، والشهادة له بأنه بلَغ الرسالة بعد أن أكمل الله له الدين وأتم عليه النعمة.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يُحتاج إليه في أمر الدين والدنيا، وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة، فإذا كان كذلك، فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله: إن الشريعة لم تتم، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها؛ لأنه لو كان معتقدًا لكمالها وتمامها من كل وجه، لم يبتدع ولا استدرك عليها، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم.

قال ابن الماجشون: سمعت مالكًا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة؛ لأن الله يقول: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا». [الاعتصام ج١/٣٧].

استناد القائلين بالبدعة الحسنة إلى شبهات:

الشبهة الأولى:

وقد استند القائلون بالبدعة الحسنة إلى شبهات راحت عندهم، وفهموا منها استحسان البدع، وسأناقش- بإذن الله في هذا اللقاء- أشهر ما استندوا إليه في ذلك، ومنها: ما فعله عثمان رضي الله عنه من الأذان الثاني في يوم الجمعة، ولم يكن موجودًا في زمن من قبله، وفي نظر هؤلاء أن عثمان أتى ببدعة حسنة ووافقه الصحابة عليها.

وأقول في الرد على هذه الشبهة:

إن عثمان لم يزد ولم ينقص عما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يخترع أذانًا زائدًا في المسجد، وإنما أراد إعلام الناس بقرب وقت الصلاة في مكان يسمى «الزوراء»، وهو مكان مجاور للسوق يبعد عن المسجد نحو ألف ذراع، ليسمع أهل السوق الأذان؛ نظرًا لاتساع العمران وكثرة السكان عما كان عليه الحال في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

بالإضافة إلى أن هذا فعل أحد الخلفاء الراشدين الذين أُمرنا أن نقتدي بهم وأن نتبع سنتهم.

الشبهة الثانية:

استدلالهم بالحديث الصحيح الآتي على جواز تقسيم البدع إلى حسنة وسيئة، وهو فهم خاطئ للنصوص، ونص

الحديث: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليها وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». [مسلم ٢٣١٤].

والجواب عن هذه الشبهة كما يلي:

ليس المراد بالاستنان هنا الاختراع، وإنما المراد العمل بما ثبت في السنة النبوية، أو إحياء أمر مشروع غفل عنه الناس أو تركوه، وذلك لعدة وجوه:

الأول: قوله صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة» لا يدل على البدعة، فإن البدع ليست من الإسلام، وقوله: «حسنة» دليل آخر على إخراج البدع، فالبدع ليست بحسنة، وكون السنة حسنة أو سيئة لا يُعرف إلا بموافقة الشرع أو بمخالفته، فما وافق الشرع وأوامره فهو من السنة الحسنة، وما خالف الشرع وأوامره فهو السنة السيئة.

الثاني: أن السبب الذي جاء لأجله الحديث هو الصدقة المشروعة، وعلى هذا يكون قوله صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة» منزلاً على سبب هذا الحديث، وهو كما في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مُجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ» [النساء: ١] إلى آخر الآية. «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» [النساء: ١]، والآية التي في الحشر: «اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ» [الحشر: ١٨]، تصدق رجل من ديناره، ومن درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: «ولو بشق تمرة» قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومة من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة». الحديث.

فتأملوا: متى قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا القول؟ وما الذي نفهمه من ذلك؟ نجد أن المراد بهذا الكلام حث الناس على القيام بمثل ما قام به الذي أتى بصُرّة كبيرة، والناظر بتأمل أيضًا يجد أن كل ما فعله الأنصاري إنما هو ابتداؤه بالصدقة في تلك الحادثة، والصدقة مشروعة من قبل بنص الشرع.

والسنة الحسنة هنا: وهي إحياء أمر مشروع لم ينشط له بعض الناس، ولا يمكن أن يفهم هذا النص دون النظر إلى مناسبته التي ورد فيها، وهو ما يعرف عند الأصوليين بدلالة السياق، وإلا سيكون كمثل من قرأ قوله تعالى: «فويل للمصلين»، ولم يكمل ما بعدها حتى يتم معناها؛ لأنه يكون بفعله هذا عكس الحقائق، وقلب الموازين؛ لأن الله لم يتوعد المصلين، كيف وهو أمر سبحانه بإقامة الصلاة؟ لكنه جل وعلا توعد صنفًا من المصلين الذين وصفهم بقوله: «الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ» [الماعون: ٥- ٧]. قال ابن دقيق العيد: «فإن السياق طريق إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات، وتنزيل الكلام على المقصود منه، وفهم ذلك قاعدة كبيرة من قواعد أصول الفقه». [الإحكام ٤/٨٢].

الثالث: أن قوله صلى الله عليه وسلم: «من سَنَّ في الإسلام سنةً حسنة، ومن سن في الإسلام سنة سيئة» لا يمكن حمله على الاختراع؛ لأن كونها حسنة أو سيئة لا يُعرف إلا من جهة الشرع، إذ كانت العبادات في الجملة توقيفية غير معقولة المعنى، فلا يستقل العقل بإدراك جهة الحسن أو القبح فيها، فلزم أن تكون السنة في الحديث: إما حسنة في الشرع، وإما قبيحة بالشرع، فلا يصدق هنا إلا على مثل الصدقة المذكورة وما أشبهها من السنن المشروعة.

الرابع: لا يمكن أن يكون معنى: «من سن في الإسلام سنة حسنة» أي من ابتدع في الإسلام بدعة حسنة، فإن لازم ذلك أن يكون بين البدعة والسنة ترادف، مما يؤدي إلى لازم أفسد منه، وهو أن يصح حمل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كل بدعة ضلالة» على: كل سنة ضلالة.

الشبهة الثالثة:

استدلوا بقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

> **قوله صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة» لا يدل على البدعة، فإن البدع ليست من الإسلام، وقوله: «حسنة» دليل آخر على إخراج البدع، فالبدع ليست بحسنة.**

رضي الله عنه حين خرج إلى الناس وهم يصلون بإمامهم في رمضان: «نعمت البدعة هذه» البخاري (٢٠١٠).

والجواب عن هذه الشبهة في النقاط التالية:

أولاً: لو سلمنا جدلاً بصحة دلالته على ما أرادوا من تحسين البدع - مع أن هذا لا يسلم - فإنه لا يجوز أن يعارض كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: «كل بدعة ضلالة» بكلام أحد من الناس، كائنًا من كان.

ثانيًا: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: هذه الكلمة حين جمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح، وصلاة التراويح ليست بدعة في الشريعة، بل هي سُنة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله في الجماعة، وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة التراويح بأصحابه في المسجد ثلاث ليال، وقد رغّب في القيام مع الإمام، كما بالحديث: «من قام مع الإمام حين ينصرف كتب له قيام ليلة» [سنن الترمذي وصححه الألباني].

وفي هذا ترغيب لقيام رمضان خلف الإمام، وقد فهم ذلك الصحابة رضوان الله عليهم فكانوا يصلون التراويح، وقد دفع ذلك عمر رضي الله عنه إلى أن يجمعهم على إمام واحد، كما في حديث عبد الله بن عبد القاري قال: «خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط.

فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه مرة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم. فقال عمر: «نعمت البدعة» أخرجه البخاري.

فأصل قيام الليل سنة مشروعة، فانتفى أن تكون بدعة، ولا يمكن أن نقول: إنها بدعة، وقد صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما سماها عمر بدعة؛ لأن الناس قد تركوها، وصاروا لا يصلون جماعة بإمام واحد، فلما جمعهم على إمام واحد، صار اجتماعهم بدعة بالنسبة لما كانوا عليه أولاً من هذا التفرق.

وعليه فمفهوم البدعة الشرعية لا ينطبق على فعل عمر، وينصرف لفظ البدعة في قوله إلى البدعة اللغوية؛ لأن البدعة في الشرع لا تُستخدم إلا في موضع الذم، بخلاف اللغة، فإن كل ما أُحدث على غير مثال سابق بدعة، سواء أكان محمودًا أو مذمومًا، وعلى هذا حمل العلماء قول عمر رضي الله عنه، قال ابن رجب: «وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدعة اللغوية». [جامع العلوم والحكم/٣٣٦].

وقال ابن حجر الهيتمي في شرحه لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» [صحيح مسلم]: ويدخل في المبتدعة: كل من أحدث في الإسلام حدثًا لم يشهد الشرع بحسنه، وقول عمر رضي الله عنه في التراويح: «نعمت البدعة» أراد البدعة اللغوية، وهو ما فُعل على غير مثال، كما قال تعالى: «قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ» [الأحقاف: ٩]، وليست بدعة شرعًا، فإن البدعة الشرعية ضلالة، كما قال صلى الله عليه وسلم. [الفتاوى الحديثية/٢٨١].

لا يجوز أن يُعَارَض كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: «كل بدعة ضلالة» بكلام أحد من الناس، كائنًا من كان.

وقال ابن تيمية: «وأما قول عمر رضي الله عنه: نعمت البدعة هذه. فأكثر المحتجين بهذا لو أردنا أن نثبت حكمًا بقول عمر الذي لم يخالف فيه، لقالوا: قول الصاحب ليس بحجة، فكيف يكون حجة لهم في خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

ثم نقول: أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها، وهذه تسمية لغوية، لا تسمية شرعية، وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداءً من غير مثال سابق، وأما البدعة الشرعية فما لم يدل عليه دليل شرعي، فإذا كان نص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دلّ على استحباب فعل، أو إيجاب بعد موته، أو دل عليه مطلقًا، ولم يُعمل به إلا بعد موته ككتاب الصدقة الذي أخرجه أبو بكر رضي الله عنه فإذا عُمل ذلك العمل بعد موته، صح أن يسمى بدعة في اللغة؛ لأنه عمل مبتدأ، كما أن نفس الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يسمى بدعة ويسمى محدثًا في اللغة، كما

قالت رسل قريش للنجاشي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين إلى الحبشة: «إن هؤلاء خرجوا من دين آبائهم، ولم يدخلوا في دين الملك، وجاءوا بدين محدث لا يُعرف».

ثم ذلك العمل الذي دل عليه الكتاب والسنة ليس بدعة في الشريعة، وإن سُمي بدعة في اللغة، فلفظ البدعة في اللغة أعم من لفظ البدعة في الشريعة، وقد علم أن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كل بدعة ضلالة» [سنن ابن ماجه وصححه الألباني]، لم يرد به كل عمل مبتدأ في دين الإسلام، بل كل دين جاءت به الرسل، فهو عمل مبتدأ، وإنما أراد ما ابتدئ من الأعمال التي لم يشرعها هو صلى الله عليه وسلم. [اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٥٨٩، ٥٩٠].

الشبهة الرابعة:

قالوا فيها: إن بعض الصحابة قد فعلوا أمورًا تعبدية ولم يكن فيها دليل خاص، ومع ذلك أقرهم الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهم ذلك، كقصة خبيب بن عدي رضي الله عنه وفيها: أن المشركين لما أرادوا أن يقتلوه طلب منهم أن يتركوه، لكي يصلي ركعتين قبل القتل، فقال أبو هريرة راوي القصة: «فكان خبيب هو الذي سن الركعتين لكل امرئ قتل صبرًا». وقصة بلال عندما كان يصلي ركعتين بعد كل وضوء.

والجواب عن هذه الشبهة فيما يلي:

أولا: أن الصحابة رضي الله عنهم قد فعلوا أمورًا تعبدية لم يرد فيها دليل خاص، ليس استحسانًا بغير دليل شرعي، ولكن لورود الدليل العام الذي يُثبت هذه العبادة، فالتطوع بالصلاة أو الصيام أمر مفتوح من حيث عدد الركعات أو مدة الصيام وثابت في السنة، وما دام وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كيفية، مع اجتناب الأوقات المنهي عن الصلاة فيها، والأيام التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تخصيصها بصيام، والدليل على استحباب النفل المطلق في أي وقت، ما ثبت في حديث عثمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه». [البخاري: ١٥٩].

وكذا حديث عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي ركعتين، مقبلاً عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة». [مسلم: ٤٧٣].

ومن هذا فَهْم خبيب جواز التنفل بعد وضوئه قبل موته لتتم له المغفرة، ومن هذا أيضا فَهْم بلال التنفل بعد كل طهور في ليل أو نهار، فلم ينشئ عبادة من عنده، وإنما حافظ على ما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أن فعل الصحابة موقوف على إقرار النبي صلى الله عليه وسلم له، وكان فعلهم له قبل نزول آية كمال الدين وتمام النعمة، وأما بعدها مما ابتدعه الخلف فمن أين لهم أن يعلموا إن كان النبي صلى الله عليه وسلم يقره أو ينهى عنه؟ ومن أين يضمنون إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لما أحدث بعده، وقد مات صلى الله عليه وسلم؟ وقد أعلمت قبل موته أن كل بدعة ضلالة، ولئن أقر النبي صلى الله عليه وسلم فعل خبيب وبلال في الصلاة بعد كل وضوء، فإنه لم يقر البراء بن عازب على خطئه في الدعاء الذي علمه إياه النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: «آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت». فقال البراء: فجعلت أستذكرهن: «وبرسولك الذي أرسلت»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا، ونبيك الذي أرسلت». البخاري (٢٤٧).

النوافل المطلقة ليست بدعة ؛ فخبيب هو الذي سنّ الركعتين لكل امرئ قتل صبرًا ، وبلال كان يصلي ركعتين بعد كل وضوء .

كما لم يقر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون على التبتل وسماه رهبانية، ولم يقر الصحابة الذين سألوا عن عبادته فلما أُخبروا بها كأنهم تقالوها، وأرادوا التجاوز والغلو في العبادة، فنهاهم صلى الله عليه وسلم وأعلمهم أن هذا ليس من سنته.

وهذا يدل بوضوح على أن ما أحدث بعض الصحابة من أمور تعبدية أصبح سُنة بإقرار النبي صلى الله عليه وسلم لا بمجرد فعل الصحابة، وقد قال القسطلاني بعد ذكره لقصة خبيب: «وإنما صار فعل خبيب سنة، لأنه فعل ذلك في حياة الشارع واستحسنه». [انظر: إرشاد الساري ج٥/١٦٥].

والحمد لله رب العالمين.

الغزو الشيعي.. بين خيانات الماضي وأحلام الحاضر

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، ويكتوي الفؤاد ويعتصر بداخل الإنسان عندما ينظر إلى ما حوله بأعين تحرقها الدموع الملتهبة، والمشاعر الحزينة لما يحدث من حوله، فالناس قد تبدلت أحوالهم، وتغيرت نفوسهم، ملكتهم الدنيا وزينتها، هانوا على أنفسهم، وهانت عليهم بلادهم وأرضهم وأهلهم، فرّطوا في كل شيء، وأصبح همهم كرسيًا زائلاً، ومنصبًا حقيرًا، وسبحان من له الدوام، نسوا أنهم سيقفون يومًا أمام من لا يغفل ولا ينام، استباحوا المحرمات، واقترفوا المنهيات، انتشرت الفتن وكثر الدمار، وهيهات هيهات، فالعمر قصير، والدنيا فانية، وسيقف الجميع يومًا أمام رب عليم، يحاسبهم على النقير والقطمير بلا مال ولا نصير.

ومع اشتداد الأزمات، من أمن افتُقِد، وكوارث ونكبات حلت، ومحاكم تُحرق، وسكك حديد مقطوعة، بل مشلولة، وقُطاع الطرق، وكهرباء مقطوعة، وأسعار مرتفعة، وغير ذلك كثير وكثير، كل ذلك قد يحتمله الإنسان، إلاَّ أن يمس عقيدتنا، وأن يمس منهجنا، وأن يمس ديننا، وأن نحني الرءوس من أجل مال زائل، نحتمل الجوع والظروف الصعبة، لكننا لن نقف مكتوفي الأيدي، مطأطئي الرءوس أمام غزو شيعي لمصر السُّنية؛ السُّنية بأزهرها، السُّنية بمسلميها، السنية بعلمائها، أبدًا لن تكون مصر إلاَّ سنية شاء من شاء.. وأبى من أبى!!

المؤمن الحق يرى إسلامه وإيمانه جوهرة نفيسة

إن المؤمن الحق يرى أن إسلامه وإيمانه جوهرة نفيسة نالها بفضل الله، لا بفضل غيره، فتراه يسعى بكل ما أوتي من قوة وحيلة إلى تثبيت الإيمان وتقويته وتنقيته، وإلى دفع كل ما يدنّسه أو يشينه أو يُضعفه، وقدوته في ذلك إمام الخلائق وسيد ولد آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان يستعيذ بالله من الضلال بعد الهدى، ومن الحَوْر بعد الكَوْر، ففي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه: «أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والإنس والجن يموتون».

لقد كان قرار الحكومة المصرية بفتح المجال أمام السياحة الإيرانية ضربة أصابت جُل أهل مصر، ولا عجب فهم ينتسبون إلى أهل السنة والجماعة، ودين الشيعة قائم على احتراف الكذب والتقية، والتقية لها معان كثيرة، منها: موافقة المكْره لمكرهه اضطرارًا مع السعي للتخّلص منه في أقرب فرصة، وهو المعنى المشروع.

ومنها إظهار الإنسان موافقة مخالفيه أو انتماءه لهم علنًا، مع الكيد لهم سرًا، وخداعًا لهم، أو طلبًا لمنفعة منهم، وهو النفاق.
ومنها ادعاء الإنسان محبة مخالفيه في ذات الوقت الذي يحاربهم فيه علنًا، ويقاتلهم علنًا، ويسبّهم علنًا أيضًا، وهي صورة من صور النفاق التي تمرّس فيها اليهود عبر تاريخهم، ومن أمثلته في تاريخهم الحديث: سلمهم الذي اتضح أنه أشد ضراوة من حربهم، وينافسهم في ذلك، وربما يتفوق عليهم، الشيعة الروافض، ومن أوضح الأمثلة على ذلك مؤتمر الحوار بين المذاهب الإسلامية الذي عُقد في مصر في عام ٢٠٠٧م، والذي شهد كلامًا معسولاً من «التسخيري» ممثل إيران في المؤتمر، رغم تهربه من الوعد بأي شيء مما طلبه منه دعاة التقريب من السُّنة، والذين قدموا للشيعة تنازلات كثيرة أملاً في التقريب معهم، ومع ذلك لم يقدم التسخيري لمن لم يخجلوا من أنفسهم شيئًا يُذكر!!

نكاح المتعة نموذج للمنهج الفاسد عند الشيعة

نكاح المتعة كان معروفًا في الجاهلية، وتأخر تحريمه، كما تأخر تحريم الخمر، ثم حُرِّم، ولكن الشيعة يزعمون بقاء تشريعه وإباحته، وينسبون تحريمه إلى عمر رضي الله عنه.
ونكاح المتعة عند الشيعة لم يرقَ حتى إلى ذلك النوع الذي كان معروفًا في صدر الإسلام، بل هو البغاء بعينه، وإذا تتبعنا أحكام نكاح المتعة عندهم فإننا نجد فيها:
١- الإيمان بالمتعة أصلٌ من أصول الدين، ومنكرها منكرٌ للدين. [كتاب من لا يحضره الفقيه ٣/٣٦٦، وتفسير منهج الصادقين ٢/٤٩٥].
٢- المتعة من فضائل الدين، وتطفئ غضب الرب. [كتاب من لا يحضره الفقيه ٣/٣٦٦].
٣- المتعة من أعظم أسباب دخول الجنة، بل إنها توصّلهم إلى درجة تجعلهم يزاحمون الأنبياء مراتبهم في الجنة. [من لا يحضره الفقيه: ٣/٣٦٦].
٤- حذروا من أعرض عن التمتع من نقصان ثوابه يوم القيامة، فقالوا: «من خرج من الدنيا ولم يتمتع جاء يوم القيامة وهو أجدع، أي: مقطوع العضو». [تفسير منهاج الصادقين ٢/٤٩٥].
٥- ليس هناك حدّ لعدد النساء المتمتّع بهن، فيجوز للرجل أن يتمتع بمن شاء من النساء، ولو بألف امرأة أو أكثر. [الاستبصار للطوسي ٣/١٤٣، وتهذيب الأحكام ٧/٢٥٩].
٦- جواز التمتع بالبكر ولو من غير إذن وليها، ولو من غير شهود أيضًا. [شرائح الأحكام ٢/١٨٦، وتهذيب الأحكام ٧/٢٥٤].
٧- جواز التمتع بالبنت الصغيرة التي لم تبلغ الحلم، بحيث ألا يقل عمرها عن عشر سنين. [الاستبصار للطوسي ٣/٢١٤٥، والكافي في الفروع ٥/٥٤٦٣].
٨- جواز الإتيان في الدبر في نكاح المتعة. [الاستبصار للطوسي ٣/٢٤٣، وتهذيب الأحكام ٧/٥١٤].
٩- يرون أنه لا داعي لسؤال المرأة التي يتمتع بها إن كانت متزوجة أم كانت عاهرة. [الاستبصار للطوسي ٣/١٤٥، والكافي في الفروع].
١٠- ويرون أيضًا أن الحد الأدنى للمتعة يمكن أن يكون مضاجعة واحدة فقط، ويسمون ذلك إعارة للفرج. [الاستبصار للطوشي ٣/١٥١، والكافي في الفروع ٥/٤٦٠].
١١- امرأة المتعة لا ترث ولا تُورَث. [المتعة ومرجعيتها في الإسلام لمجموعة من الشيعة ١١٦-١٢١، تحرير الوسيلة للخميني ٢/٢٨٨].
وقد أشار الرئيس الإيراني رافسنجاني إلى أن ربع مليون لقيط في إيران بسبب زواج المتعة!!
ولا شك أن أي طائفة ترى مشروعية ذلك النوع من العلاقات تمثل خطرًا في نقل الأمراض الجنسية، كما تمثل خطرًا في سهولة تجنيد العملاء كما يفعل الموساد الإسرائيلي، فإذا كان الغرب يستعمل في هذا المضمار المال والجنس، فإن الشيعة يستخدمون سلاح الجنس المدعوم بالفتاوى التي تبيحه، فيكون الإغراء فيه أشد، كما أن الدول التي تجنّد عملاء يعرف الشخص المستهدَف حينها أنه سوف يخون دينه ووطنه، في حين يظن الشخص المتشيع حينما يتلقى الأوامر والتعليمات أنه يتلقاها من نواب الإمام الغائب، وهذا نموذج أردنا أن نعرضه من عقائدهم الفاسدة، فهم أخطر على المسلمين من اليهود والنصارى، ومع ذلك تُفتح لهم الأبواب، وتُزين لهم المطارات، ويُغض الطرف عن الفعل ورد الفعل، وحسبنا الله ونعم الوكيل!!

خيانات الشيعة في الماضي والحاضر

إن خيانات الشيعة على مر العصور تفضح قبحهم، وسوء منقلبهم، تفضح التقية عندهم، فخياناتهم مدوية وثابتة عبر التاريخ، سنذكر فيها بعض النماذج المعدودة لضيق المقام، ولكن لا بد أن يتعرف الناس على قبحهم وكذبهم وتدليسهم، فقد كانت خيانات الشيعة لآل البيت الذين يدّعون حبهم، والخائن بطبعه لا يلوي على شيء، إذ الخيانة داء خبيث إذا خالط دماء الإنسان، فإنه ربما يغدر

بأقرب الناس إليه.
والشيعة الذين غالوا في حب آل البيت، وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثبتت خيانتهم له منذ اللحظات الأولى لظهور التشيع إبان الفتن التي وقعت بين الصحابيين الجليلين علي ومعاوية، رضي الله عنهما.
وقد كانت خيانة الشيعة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه من أهل العراق، وعلى وجه الخصوص من أهل الكوفة والبصرة، فعندما عزم عليّ على الخروج بهم إلى أهل الشام بعد القضاء على فتنة الخوارج خذلوه، وكانوا قد وعدوه بنصرته، والخروج معه، لكنهم تخاذلوا عنه، وقالوا: (يا أمير المؤمنين! لقد نفدت نبالنا وكلت سيوفنا...، فارجع بنا فلنستعدَّ بأحسن عُدتنا...)، فأدرك عليّ أن عزائمهم هي التي كلت ووهنت، وليس سيوفهم، فقد بدءوا يتسللون من معسكره عائدين إلى بيوتهم دون علمه، حتى أصبح المعسكر خاليًا، فلما رأى ذلك دخل الكوفة، وانكسر عليه رأيه في المسير. (تاريخ الطبري وابن الأثير، والكامل في التاريخ ٣/٣٤٨).
وأدرك علي رضي الله عنه أن هؤلاء القوم لا يمكن أن تنتصر بهم قضية، مهما كانت عادلة، ولم يستطع أن يكتم هذا الضيق، فقال لهم: (ما أنتم إلا أسود الشرى في الدَّعة، وثعالب روّاغة حين تُدْعَوْن إلى البأس، وما أنتم لي بثقة.. وما أنتم بركب يُصَال بكم، ولا ذي عزّ يُعتَصم إليه، لعمر الله لَبئس حشاش الحرب أنتم، إنكم تُكادُون ولا تكيدون، وتُنْتَقصُ أطرافكم ولا تتحاشون) (تاريخ الطبري ٥/٩٠، والعالم الإسلامي في العصر الأموي ص٩١).
والعجيب أن شيعة عليّ من أهل العراق لم يتقاعسوا عن المسير معه لحرب الشام فقط، وإنما جبنوا وتثاقلوا عن الدفاع عن بلادهم، فقد هاجمت جيوش الشام بلدة عين التمر وغيرها من أطراف العراق، فلم يذعنوا لأمر عليّ بالنهوض للدفاع عنها، حتى قال لهم أمير المؤمنين عليّ: (يا أهل الكوفة! كلما سمعتم بمنسر -قطعة من الجيش- من مناسر أهل الشام انجحر كل امرئ منكم في بيته، وأغلق بابه انجحار الضبّ في جحره والضبع في وجارها، المغرور من غررتموه، ولِمَنْ فاز بكم، فاز بالسهم الأخيب، لا أحرار عند النداء! ولا إخوان ثقة عند النجاء! إنا لله وإنا إليه راجعون). [تاريخ الطبري ٥/١٣٥، والعالم الإسلامي في العصر الأموي ص٩٦]

الشيعة خيانة مستمرة وعداء للإسلام والمسلمين!!

لا يختلف اثنان من العقلاء أن الشيعة الرافضة تاريخهم عبارة عن عداء مستمر للإسلام وأهله، وخيانتهم مستمرة.. والتاريخ يخبرنا أنهم خانوا الحسين بن علي رضي الله عنهما -كما خانوا أباه من قبل- عندما أوهموه بأنهم سينصرونه في الكوفة، فارتدوا على أدبارهم خائبين، وتركوه يُصارع المصير وحده، رضي الله عنه، حتى اعترف كبائر علماء الشيعة بأنهم هم من قتلوا الحسين، رضي الله عنه، قال السيد محسن الأمين: (بايع الحسينَ عشرونَ ألفًا من أهل العراق، غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم، وقتلوه). [أعيان الشيعة ١ / ٣٤].
والتاريخ يخبرنا بالخيانة العظمى للشيعي الرافضي الخبيث ابن العلقمي، الذي كان وزيرًا للمستعصم بالله، فتعاون مع التتار لإسقاط الدولة العباسية، وسفك دم الخليفة وعدد كبير من أهل السنة في العراق.
والتاريخ يخبرنا بجرائم القرامطة، وما ارتكبوه من فظائع لم يحدث مثلها في التاريخ، فمن ذلك إلحادهم الأكبر في البيت الحرام في عام ٣١٧هـ، واقتلاعهم للحجر الأسود، ولم يردوه إلا في سنة ٩٣٢هـ.
والتاريخ يخبرنا أن العبيديين حاولوا هدم البيت الحرام عام ٤١٣هـ، ومنعوا غيرهم -من أهل السنة- من الحج أحيانًا كثيرة، فمضت سنوات متطاولة لم يحج فيها أحد من أهل العراق وخراسان ولا غيرهم، بل مضى قرن كامل لا يكاد يحج فيها أحد، حتى طهّر الله الحرم من العبيديين سنة ٤٦٣هـ.
والتاريخ يخبرنا عن فتنة القرامطة بالحرم المكي عام ٣١٧هـ، وقتل العلماء وأهل الحديث أكثر من غيرهم، حتى لو تعلق أحدهم بأستار الكعبة.
وقد بثوا الفتنة والقتل في حرم الله الآمن، ولا أحد يجهل ما ارتكبوه سنة ١٤٠٧هـ.
والتاريخ يخبرنا أن في عام ١٤٠٦هـ عرض التلفاز السعودي صورًا متفجرات أدخلوها إلى البلاد المقدسة في صورة عجائن متفجرة؛ لإثارة الفوضى!!
والتاريخ يخبرنا أن أهل السنة في طهران -عاصمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية- لا يوجد لهم مسجد واحد، ويوجد للمجوس والنصارى واليهود العشرات من المعابد والكنائس!! فأي دين هذا؟!!

مصر في أنظار الشيعة بين الماضي والحاضر

لم يكتف أبو عبد الله الشيعي بنشر الدعوة للفاطميين في بلاد المغرب، بل أخذ يعمل على بسط نفوذهم في شمال إفريقيا، فوقعت في يده عدة مدن، وأعلن

الفاطميون قيام دولتهم سنة ٢٩٦هـ إثر انتصارهم على الأغالبة. [تاريخ الدولة الفاطمية ص٥٠، ٥١].

ورأى الفاطميون بعد أن امتد نفوذهم إلى بلاد المغرب، أن هذه البلاد لا تصلح لتكون مركزًا لدولتهم، فضلاً عن ضعف مواردها؛ حيث كان يسودها الاضطراب من حين لآخر، لذلك اتجهت أنظارهم لمصر، لوفرة ثرواتها، وقربها من بلاد المشرق، الأمر الذي يجعلها صالحة لإقامة دولة مستقلة تنافس العباسيين. [جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر ص٥٩].

وقد وجَّه الفاطميون أكثر من حملة للاستيلاء على مصر بدءًا من ٣٠١ حتى ٣٥٠هـ، وفي سنة ٣٥٨هـ كتب الخليفة الفاطمي إلى قائده جوهر الصقلي كتابًا بالأمان لأهل مصر، جاء فيه: (أن يظل المصريون على مذهبهم، وألا يُلزموا بالتحول إلى المذهب الشيعي، وأن يُجرَى الأذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره، والزكاة والحج، والجهاد على ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله). [المقريزي: اتعاظ الحنفا ص١٤٨].

ولم يكن كتاب جوهر إلى أهل مصر إلا مجرد مهادنة ومخادعة، وعندما وصل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي القاهرة، في سنة ٣٦٢هـ، ركز اهتمامه في تحويل المصريين إلى المذهب الشيعي، وكان الفاطميون لا يقتصرون في تهييج أهل السنة على إقامة الشعائر الشيعية، بل كانوا يُرغِمون أهل السنة ويعتدون عليهم ليشاركوهم طقوسهم.

ومع ما فعلت دولة العبيديين من محاولات للقضاء على أهل السنة ومذهبهم، إلا أن المذهب السني ظل محتفظًا بقوته، وظلت مصر سُنية إلى يومنا هذا، وستبقى بإذن الله رغم تدبير المدبرين، وخنوع الخانعين، وصمت الصامتين، فأين سيذهبون من رب العالمين!!

السياحة الإيرانية بين الخطر والتفريط!!

ما زلنا نتذكر تصريحات الرئيس محمد مرسي عن الشيعة قبل الانتخابات الرئاسية: (أن الشيعة خطر على مصر، وأن خطورتهم أشد من خطورة اليهود والنصارى، وأن التطبيع مع إيران خط أحمر). فهل تبدل الأمر وأصبحت الإشارة خضراء؛ حتى إن وزير الإعلام لم يجد في مصر كفاءات إعلامية حتى عيّن مستشارًا شيعيًا له؟!

أم أن ذلك ربما يأتي ضمن سياسة الانفتاح على إيران من أجل المال، وتأتي الوفود السياحية الإيرانية، ويجدد الشيعة معهم أحلامهم ببسط نفوذهم على مصر بشتى الوسائل، وبكل ما أوتوا من قوة.

إن خيانات الإيرانيين مازالت أمام أعيننا، فمع الحالة الثورية المعلنة في طهران ضد أمريكا وإسرائيل، إلا أن التعاون الخفي بين الجانبين يظهر أن إيران هي من تعاونت مع أمريكا والغرب لتسهيل استيلاء الأمريكان على العراق، وإزاحة نظام صدام حسين، وتحويل العراق إلى دولة شيعية، ومن ثم يسهل عليهم الوصول إلى كل دول الخليج، ثم مصر بعد ذلك، كما يحدث الآن بعد التطبيع السياحي الهدام لضرب عقيدة أهل السنة في مصر.

وكذا فإيران ومخابراتها هي من تآمرت ودبرت مع أمريكا وإسرائيل والدول الغربية لدخول أفغانستان واحتلالها والتخلص من حركة طالبان السنية، وما يحدث في البحرين، والكويت الشقيقة، والمنطقة الشرقية بالسعودية، ليس بعيدًا عن المخطط الشيعي!!

مضارّ التوغل الثقافي الشيعي في مصر

إن التوغل الثقافي داخل مصر هو جزء من خطة الشيعة لتصدير الثورة الإيرانية في ضوء الانفتاح والتطبيع السياسي والتقارب المصري الإيراني.

فهل بدأت إجراءات التغلغل الإيراني داخل مصر من خلال اتفاقات السياحة، ثم السماح بدخول المصريين لإيران بدون تأشيرات مسبقة، والترحيب البالغ بالقائم بالأعمال الإيراني في الإعلام المصري، وزيارة وفد إعلامي مصري لإيران للاتفاق على دبلجة المسلسلات الإيرانية باللغة العربية لعرضها في القنوات المصرية، واستغلال الشيعة لقلة من المصريين من الذين الجهلاء في الدعوة إلى المذهب الشيعي، والسعي للعودة إلى مساجد القاهرة وترميم المساجد التي بناها الفاطميون، والسعي لإدارتها من قِبلهم.

والقاسم المشترك في كل هذه الأنشطة هو العمل الدعوي البدعي الذي يجهل حقيقته كثير من أبناء الشعب المصري، خصوصًا مع استعمال أسلوب التقية لخداع البسطاء من أبناء الشعب المصري، المحبين بطبعهم لآل البيت.

كيفية مواجهة الغزو الشيعي

إن حجر الأساس في مواجهة هذا الغزو الشيعي: هو الدعوة إلى الله عز وجل، ونشر عقيدة أهل السنة والجماعة، وتعظيم الصحابة وحب آل البيت، والتأكيد على حب الخلفاء الراشدين المهديين، رضي الله عنهم، وتوقير أمهات المؤمنين، ونشر فضائل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وتولِّيهم، وبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم.

اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

تفسير سورة الزمر

الحلقة التاسعة

«وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾». [الزمر: ٦٥- ٧٥]

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

تفسير الآيات

قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»، يعني بالذين مِنْ قبله مَنْ سمّاهم اللهُ تعالى من الأنبياء في سورة الأنعام، في قوله: «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ»[الأنعام: ٨٣]، إلى أن قال: «ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأنعام: ٨٨]. فالشرك الأكبر، وهو اتخاذ الأنداد آلهةً من دون الله يُحبط الأعمال، ويُبطل الأجرَ والثواب، «فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف: ١١٠]، فإن الله قال: «بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ»: أي لا تشرك بالله شيئًا، «وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ»:أي المؤمنين الموحدين، «وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [القصص: ٨٧- ٨٨].

مذهب السلف في الأسماء والصفات:

«وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» وما عرفوه حقَّ معرفته، وما عظّموه حقّ تعظيمه، حين دعوا رسول الله إلى عبادة غير الله، ولو قدروه حقّ قدره لعلموا أنه

لا إله إلا هو. «وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ»: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟" [صحيح البخاري (٤٨١١) ومسلم (٢٧٨٨)].

وما ذكر في الآية والأحاديث من هذه الصفات: القبضة، واليمين، والشمال، والأصابع، مذهب السلف فيها: إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، وقوفًا عند قوله تعالى:« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »[الشورى: ١١]، فأول الآية ردٌ على المُشَبِّهة، وآخرها ردٌ على المُعَطِّلة، وسبيل الحق بينهما لأهل السُّنّة: إثباتٌ بلا تشبيه، وتنزيهٌ بلا تعطيل.

وجملة« سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ »: إنشاءُ تنزيهٍ لله تعالى عن إشراك المشركين له آلهةً أخرى، وهو يؤكد جملةَ «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ».

أهوال يوم القيامة:

« وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ »:

الصور خلق عظيم مثل البوق، خلقه الله تعالى ووكل به ملكًا من الملائكة، هو إسرافيل عليه السلام، وأخبرنا الله في هذه الآية أن ذلك الملك سينفخ في ذلك الصور نفختين: الأولى للصعق والفناء، والثانية للبعث والإحياء.

وأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك الملك أخذ أهبة الاستعداد للنفخ، ينتظر الأمر بالنفخ: فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ، فكان ذلك ثقل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا" [الترمذي (ح٢٤٣١) وصححه الألباني].

والنفخة الأولى سَتُحْدِثُ في الكون انقلابًا هائلًا، تشخص منه الأبصار، وتقشعر منه الأبدان، حتى إن كل إنسان يحاول الهرب والفرار.

قال تعالى: «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ» [الحاقة: ١٣- ١٧].

وقال تعالى: «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا» [الواقعة: ١- ٦].

وقال تعالى:« وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ» [النمل: ٨٧- ٨٨].

وقال تعالى: «فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ» [القيامة: ٧- ١٢].

فبالنفخة الأولى يفنى الخلائقُ أجمعون، كما قال تعالى: « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ » [الرحمن: ٢٦- ٢٧]، وقال تعالى: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [القصص: ٨٨].

أما قوله تعالى: «إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ» فقد اختلف المفسرون في المُسْتَثْنَيْن، والراجح السكوت عنهم؛ لأن الله تعالى لم يُعيِّنْهم، ولم يصحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم حديث في تعيينهم. لكنهم يموتون.

وقوله تعالى: «ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ»: فهذه هي النفخة الثانية، نفخة الإحياء والبعث، وهي بعد النفخة الأولى بأربعين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ" قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنْ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ" [صحيح البخاري (ح٤٨١٤)].

فإذا مات الإنسان أكلت الأرض جسمه كلَّه، إلا عَجْبَ الذَّنَب، فيحفظه اللهُ في الأرض، ومنه ينبت الإنسان يوم أن ينزل الله تعالى ذلك الماء من السماء، حتى إذا كان الناس تحت الأرض أجسادًا كاملة لا روح فيها، أحيا الله تعالى إسرافيل، وأمره بالنفخة الثانية، فإذا نفخها

تطايرت الأرواح، فدخلت كل روح جسدها الذي كانت تسكنه، لا تخطئ روحٌ جسدَها أبدًا، «فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ»، كما قال تعالى: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا» [الكهف: ٩٩]، وقال تعالى: «يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا» [النبأ: ١٨]

وقال تعالى: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ» [يس: ٥١- ٥٣].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: "قَامَ فِينَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فَقَالَ: إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ» الْآيَةَ، وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ «وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ إِلَى قَوْلِهِ الْحَكِيمُ» قَالَ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ". [صحيح البخاري ح (٦٥٢٦)].

مَجيء الرب سبحانه لفصل القضاء:

وبعد شفاعة سيد الأنبياء، يجيء الربُّ سبحانه لفصل القضاء، كيف يشاء، ولذلك قال: «وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا»: يعني حين جاء لفصل القضاء، كما قال تعالى: «كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» [الفجر: ٢١- ٢٢]، والمجيء صفةٌ من صفات الأفعال، كالإتيان، والاستواء، والنزول، والقولُ فيها كالقول في صفات الذات: إثباتٌ بلا تشبيه، وتنزيهٌ بلا تعطيل، كما سبق بيانه قريبًا.

فإذا جاء الرب سبحانه وتجلى لعباده أخذتهم الصاعقة وغشي عليهم أجمعين: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأُولَى" [صحيح البخاري (ح٢٤١٢)].

قال الحافظ ابن حجر: المراد بالصعق غَشْيٌ يلحق مَنْ سمع صوتًا أو رأى شيئًا يفزع منه. وقال عياض: يحتمل أن المراد بهذه الصعقة فزعُ بعد النشر حين تنشق السموات والأرضون، ويؤيده أنه عبّر بقوله: "أفاق" لأنه إنما يقال: أفاق من الغشي، وبُعث بعد الموت، وكذا عبّر عن صعقة الطور بالإفاقة؛ لأنها لم تكن موتًا بلا شك.

وقال ابن كثير: وقوله صلى الله عليه وسلم "أم جُوزي بصعقة الطور" يدل على أن هذا الصعق الذي يحصل للناس يوم القيامة سببه تجلّي الربّ تعالى لعباده لفصل القضاء، فيصعق الناس من العظمة والجلال، كما صعق موسى يوم الطور حين سأل الرؤية، «فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا» [الأعراف: ١٤٣]، فموسى عليه السلام يوم القيامة إذا صعق الناس إمّا أن يكون جُوزي بتلك الصعقة الأولى، فما صعق عند هذا التجلي، وإما أن يكون صعق صعقًا أخف من غيره فأفاق قبل الناس كلهم. والله أعلم.

«وَوُضِعَ الْكِتَابُ» أي كتاب الأعمال، الذي سجلت فيه الملائكة أعمالَ بني آدم، كما قال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ» [يس: ١٢]، وقال تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ» [القمر: ٥٢- ٥٣]، فإذا رآه الذين أسرفوا على أنفسهم صرخوا نادمين، كما قال رب العالمين: «وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا» [الكهف: ٤٩].

«وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ»: والشهداء أُمّةُ محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» [البقرة: ١٤٣]، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ" [صحيح البخاري (٣٣٣٩)].

«وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ»، فقضاءُ الله بين عباده قضاءٌ قائم على علمه سبحانه بأعمال عباده، كما قال تعالى: «فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ

إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ » [الأعراف: ٦- ٧]، وقال تعالى: « وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ» [يونس: ٦١]، وقال تعالى: «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ » [المجادلة: ٦- ٧].

فإذا قضى الله بين عباده لم يبقَ إلا أن يلقى كلُّ عامل جزاء عمله، ولذلك قال تعالى:

«وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا» أي جماعة بعد جماعة، وفوجًا بعد فوج، «حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ»، والمراد بكلمة العذاب قول الله تعالى: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ » [السجدة: ١٣].

«قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا» وأبواب جهنم سبعة، كما قال تعالى: « وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ » [الحجر: ٤٣- ٤٤]، «فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» عن عبادة الله، وعن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

«وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا» أي جماعة بعد جماعة، وفوجا بعد فوج. [التفسير الكبير ٢٧/٢٣].

قال الله تعالى: «يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا » [مريم: ٨٥- ٨٦].

«حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا» وأبواب الجنة ثمانية، كما في الحديث: "ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ (أو فيسبغ) الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء" [صحيح مسلم (٢٣٤)].

فإن قيل: لماذا قال عن أهل النار «حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا»، وقال عن أهل الجنة:«حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا»؟ يعني لماذا حذفت الواو في الأولى وأضيفت في الثانية.

فالجواب: أن هذا أبلغ في الموضعين، فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة، حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم فيفجأهم العذاب بغتة، فحين انتهوا إليها فتحت في وجوههم بلا مهلة، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على شرط، أن يكون عقيبه، فإنها دار الإهانة والخزي، فلم يستأذن لهم في دخولها، ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول.

وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته، ومحل خواصه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم، ويستشفعون إليه، فإذا أذن لهم في دخولها بعد طول انتظار، وكثرة إلحاح، كان أبلغ وأعظم في تمام النعمة، وحصول الفرح والسرور. [حادي الأرواح، ص٥٠].

«وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ»: طابت قلوبكم بالعقيدة الطيبة، وطابت ألسنتكم بالكلم الطيب، وطابت جوارحكم بالأعمال الطيبة «فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» فيها أبدًا، «وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ» لقد وعد الله عباده في الدنيا أن من أطاعه دخل الجنة، وها هو سبحانه قد وفى لهم بوعده فاستحق الحمد، وهو الغني الحميد، «فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» الذين آمنوا وعملوا الصالحات فكان أجرهم الجنة.

«وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»: قال قتادة: افتتح الله تعالى الخلق بالحمد، فقال: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ » [الأنعام: ١]، وافتتح يوم القيامة بالحمد، فقال، وختمه بالحمد فقال سبحانه: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ » [سبأ: ١]، وقال تعالى: «وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

انتهى تفسير سورة الزمر، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.



الضوابط الشرعية للصكوك والأوراق المالية

الحلقة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

وبعد فقد كثر الكلام مؤخرًا عن الصكوك، وكثر السؤال عن حكمها الشرعي، وسبق معنا في الحلقة الماضية بيان معاني الصكوك والسندات وبعض أحكامها، ونكمل ما بدأناه فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ أ.د. علي السالوس

رئيس الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح

ثانياً: استعرض مجلس المجمع أربع صيغ أخرى اشتملت عليها توصيات الندوة التي أقامها المجمع، وهي مقترحة للاستفادة منها في إطار تعمير الوقف واستثماره دون الإخلال بالشروط التي يحافظ فيها على تأبيد الوقف، وهي:

أ- وقف شركة بين جهة الوقف بقيمة أعيانه وبين أرباب المال بما يوظِّفونه لتعمير الوقف.

ب- تقديم أعيان الوقف- كأصل ثابت- إلى من يعمل فيها بتعميرها من ماله بنسبة من الريع.

جـ- تعمير الوقف بأجرة عينية هي البناء عليه وحده، أو مع أجرة يسيرة.

ثم أصدر المجمع قراره الآتي:

صكوك الإجارة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

قرار رقم ١٣٧ (١٥/٣)

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع: «صكوك الإجارة»، وبعد استماعه إلى المناقشات التى دارت حوله. قرر ما يلي:

١- تقوم فكرة صكوك الإجارة على مبدأ التصكيك (أو التسنيد أو التوريق) الذي يقصد به إصدار أوراق مالية قابلة للتداول، مبنية على مشروع استثماري يدرّ دخلاً، والغرض من صكوك الإجارة تحويل الأعيان والمنافع التى يتعلق بها عقد الإجارة إلى أوراق مالية (صكوك) يمكن أن تجري عليها عمليات التبادل في سوق ثانوية. وعلى ذلك عرفت بأنها «سندات ذات قيمة متساوية» تمثل حصصًا شائعة في ملكية أعيان أو منافع ذات دخل».

٢- لا يمثل صكّ الإجارة مبلغاً محدداً من النقود، ولا هو دين على جهة معينة سواء أكانت شخصية طبيعية أم اعتبارية- وإنما هو ورقة مالية تمثل جزءًا شائعًا (سهمًا) من ملكية عين استعمالية، كعقار أو طائرة أو باخرة، أو مجموعة من الأعيان الاستعمالية – المتماثلة أو المتباينة- إذا كانت مؤجرة، تدر عائدًا محددًا بعقد الإجارة.

٣- يمكن لصكوك الإجارة أن تكون اسمية، بمعنى أنها تحمل اسم حامل الصك، ويتم انتقال ملكيتها بالقيد في سجل معين، أو بكتابة اسم حاملها الجديد عليها، كلما تغيرت ملكيتها، كما يمكن أن تكون سندات لحاملها، بحيث تنقل الملكية فيها بالتسليم.

٤- يجوز إصدار صكوك تمثل ملكية الأعيان المؤجرة وتداولها – إذا توافرت فيها شروط

الأعيان التى يصح أن تكون محلاً لعقد الإجارة - كعقار وطائرة وباخرة ونحو ذلك، مادام الصك يمثل ملكية أعيان حقيقية مؤجرة- من شأنها أن تدر عائداً معلوماً.

٥- يجوز لمالك الصك- أو الصكوك - بيعها في السوق الثانوية لأي مشتر - بالثمن الذي يتفقان عليه، سواء كان مساوياً أم أقل أم أكثر من الثمن الذي اشترى به، وذلك نظرًا لخضوع أثمان الأعيان لعوامل السوق (العرض والطلب).

٦- يستحق مالك الصك حصته من العائد- وهو الأجرة - في الآجال المحددة في شروط الإصدار منقوصًا منها ما يترتب على المؤجر من نفقة ومؤنة - على وفق أحكام عقد الإجارة.

٧- يجوز للمستأجر الذي له حق الإجارة من الباطن أن يصدر صكوك إجارة تمثل حصصاً شائعة في المنافع التى ملكها بالاستئجار بقصد إجارتها من الباطن. يشترط لجواز ذلك أن يتم إصدار الصكوك قبل إبرام العقود مع المستأجرين، سواء تم الإيجار بمثل أجرة الإجارة الأولى أو أقل منها أو أكثر، أما إذا أبرمت العقود مع المستأجرين، فلا يجوز إصدار الصكوك؛ لأنها تمثل ديونًا للمصدر على المستأجرين.

٨- لا يجوز أن يضمن مصدر الصكوك أو مديرها أصل قيمة الصك أو عائده، وإذا هلكت الأعيان المؤجرة كلياً أو جزئياً، فإن غرمها على حملة الصكوك.

ضوابط عامة:

ثم أصدر المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي قراراً بشأن الصكوك الإسلامية (التوريق)، وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها، وقرر ما يأتي:

أولاً: المقصود بالتوريق والتصكيك:

التوريق التقليدي تحويل الديون إلى أوراق مالية (سندات) متساوية القيمة قابلة للتداول وهذه السندات تمثل دينًا بفائدة لحاملها في ذمة مصدره، ولا يجوز إصدار هذه السندات ولا تداولها شرعاً.

أما التصكيك (التوريق الإسلامي) فهو إصدار وثائق أو شهادات مالية متساوية القيمة تمثل حصصًا شائعة في ملكية موجودات (أعيان أو منافع أو حقوق أو خليط من الأعيان والمنافع والنقود والديون) قائمة فعلاً أو سيتم إنشاؤها من حصيلة الاكتتاب، وتصدر وفق عقد شرعي وتأخذ أحكامه.

ثانياً: خصائص الصكوك:

١- يمثل الصكّ حصة شائعة في ملكية حقيقية.

٢- يصدر الصك على أساس عقد شرعي ويأخذ أحكامه.

٣- انتفاء ضمان المدير (المضارب أو الوكيل أو الشريك المدير).

أن تشترك الصكوك في استحقاق الربح بالنسبة المحددة، وتمثل الخسارة بقدر الحصة التى يمثلها الصك، ويمنع حصول صاحبه على نسبة محددة مسبقًا من قيمته الاسمية أو على مبلغ مقطوع.

٤- تحمل مخاطر الاستثمار كاملة: تحمل الأعباء والتبعات المترتبة على ملكية الموجودات الممثلة في الصك، سواء كانت الأعباء مصاريف استثمارية أو هبوطًا في القيمة، أو مصروفات الصيانة أو اشتراكات التأمين.

ثالثاً: أحكام الصكوك:

١- لا يجوز أن يتعهد مدير الصكوك بإقراض حملة الصكوك أو التبرع عند نقص الربح الفعلي عن الربح المتوقع، وله - بعد ظهور نتيجة الاستثمار - أن يتبرع بالفرق، أو أن يقرضه، وما يصير عرفا يعتبر كالتعهد.

٢- مدير الصكوك أمين لا يضمن قيمة الصك إلا بالتعدي أو التقصير، أو مخالفة شروط المضاربة أو المشاركة، أو الوكالة في الاستثمار.

٣- لا يجوز إطفاء الصكوك بقيمتها الاسمية، بل يكون الإطفاء بقيمتها السوقية أو بالقيمة التي يتفق عليها عند الإطفاء.

٤- يراعى في الصكوك من حيث قابليتها للتداول الالتزام بالضوابط المنصوص عليها في قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولى رقم ٣٠ (٤/٣) التالية:

ا- إذا كانت مكونات الصكوك لا تزال نقودًا

فتطبّق أحكام الصرف.
ب- إذا انقلبت الموجودات لتصبح ديونًا، كما هو الحال في بيع المرابحة، فيطبق على تداول الصكوك أحكام الدين من حيث المنع إلا بالمثل على سبيل الحوالة.
جـ- إذا صار مال القراض موجودات مختلطة من النقود والديون والأعيان والمنافع فإنه يجوز تداول صكوك المقارضة وفقًا للسعر المتراضى عليه، على أن يكون الغالب في هذه الحالة أعياناً ومنافع.
ورأى مجمع الفقه الإسلامي الدولى المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي استكمال موضوع الصكوك الإسلامية، وقرر ما يأتي:

أولا: ضوابط عامة:

١- يجب أن تحقق الصكوك الإسلامية مقاصد التشريع من حيث تعزيز التنمية ودعم النشاط الحقيقي، وإقامة العدل بين الناس.
٢- يجب أن تحقق العقود الخاصة بالصكوك مقتضاها من حيث ثبوت الملكية شرعًا وقانونًا، وما يترتب عليها من القدرة على التصرف، وتحمل الضمان كما يجب خلو العقود من الحيل والصورية، والتأكد من سلامة ما تؤول إليه من الناحية الشرعية.
٢- يجب أن تتضمن وثائق الصكوك الآليات اللازمة لضبط التطبيق والتأكد من خلوه من الحيل والصورية، ومعالجة الخلل المحتمل. كما يجب القيام بالمراجعة الدورية للتأكد من سلامة استخدام حصيلة الصكوك في الغرض المحدد لإصدارها، ومن تطبيق جميع مقتضيات العقود على الوجه المقصود شرعاً.
٣- يجب أن تستوفى الصكوك الإسلامية الفروق الجوهرية بينها وبين السندات الربوية من حيث الهيكلة والتصميم والتركيب، وأن ينعكس ذلك على آليات تسويق الصكوك وتسعيرها.

ثانياً: التعهدات:

١- لا يجوز للمضارب أو الشريك أو الوكيل أن يتعهد بأي مما يأتي:
أ- شراء الصكوك أو أصول الصكوك بقيمتها الاسمية أو بقيمة محددة سلفًا بما يؤدي إلى ضمان رأس المال، أو إلى نقد حالّ بنقد مؤجل أكثر منه، ويستثنى من ذلك حالات التعدي والتفريط التي تستوجب ضمان حقوق حملة الصكوك.
ب- إقراض حملة الصكوك عند نقص العائد الفعلي على الصكوك عن المتوقع بما يؤدي إلى سلف وبيع أو قرض بفائدة، ويجوز تكوين احتياطي من الأرباح لجبر النقص المحتمل.
جـ- يجوز التحوط من مخاطر رأس المال في الصكوك وغيرها، من خلال التأمين التعاوني أو التكافلي المنضبط بقواعد الشريعة المطهرة.

ثالثا: إجارة الأصل على بائعه:

لا يجوز بيع أصل بثمن نقدي بشرط أن يستأجر البائع هذا الأصل إجارة مقرونة بوعد بالتمليك بما مجموعه من أجرة وثمن يتجاوز الثمن النقدي، سواء كان هذا الشرط صريحًا أو ضمنًا؛ لأن هذا من العينة المحرمة شرعًا، ولذا لا يجوز إصدار صكوك مبنية على هذه الصيغة.
هذه هي الضوابط الشرعية لإصدار الصكوك وتداولها، وهي أنواع كثيرة تختار كل دولة ما يناسبها، ومعظمها قابل للتداول، فيمكن أن يتم تداوله في البورصة مع باقي الأوراق المالية، ومنها ما لا يقبل التداول مثل صكوك السلم؛ حيث لا يجوز بيع دين السلم قبل قبضة.
والضوابط وضعها كل من المَجْمعيْن الدوليين:
١- مجمع الفقه الإسلامي الدولى المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، وهو يمثل جميع الدول الإسلامية، فلكل دولة عضو يمثلها كما يضم أعضاء معينين من كبار فقهاء العالم الإسلامي، لا يمثلون دولهم، وإلى جانب الأعضاء يوجد خبراء في جميع التخصصات، ولذلك فكل مؤتمر يحضره أكثر من مائة، وقد يصل إلى مائة وخمسين.
٢- والمجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وهو يضم خمسين عضواً من كبار فقهاء العالم الإسلامي إلى جانب الخبراء، ولذلك فكل مؤتمر قد يصل إلى مائة من الفقهاء والعلماء.

والحمد لله رب العالمين.

واقـــع المسلمين الـيـوم

عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا. فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ. قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ.

[أخرجه أحمد (٢٧٨/٥، رقم ٢٢٤٥٠)، وأبو داود (١١١/٤، رقم ٤٢٩٧)، والطيالسي (ص ١٣٣، رقم ٩٩٢)، وابن أبي شيبة (٤٦٣/٧، رقم ٣٧٢٤٧)، والروياني (٤٢٧/١، رقم ٦٥٤)، وأبو نعيم في الحلية (١٨٢/١). والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩٧/٧، رقم ١٠٣٧٢)، والديلمي (٥٢٧/٥، رقم ٨٩٧٧) وصححه الألباني].

إعداد/ إعداد: د. السيد عبد الحليم

راوي الحديث

مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سُبي من أرض الحجاز ، فاشتراه النبي -صلى الله عليه وسلم. وأعتقه ، فلزم النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحبه ، وحفظ عنه كثيرا من العلم ، وطال عمره ، واشتهر ذكره . يكنى أبا عبد الله ، ويقال : أبا عبد الرحمن . وقيل : هو يماني .

شرح معاني الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: «يوشك الأمم» أي: يقرب فرق الكفر وأمم الضلال، أن تداعى عليكم، أي: تتداعى عليكم بأن يدعو بعضها بعضًا لمقاتلتكم وكسر شوكتكم، وسلب ما ملكتموه من الديار والأموال.

«كما تداعى الأكلة» كما يجتمع الأكلة على الطعام.

«إلى قصعتها» الضمير يعود إلى الأكلة يتناولون منها بلا مانع ولا منازع، فيأكلونها عفوًا صفوًا دون كدر، بحيث يأخذون ما في أيديكم بلا تعب ينالهم، أو ضرر يلحقهم، أو بأس يمنعهم.

«أمن قلة نحن يومئذ؟» أي: هل ذلك التداعي لأجل قلة نحن عليها يومئذ.

«بل أنتم يومئذ كثير» أي: عددكم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، والغثاء ما يحمله السيل من زبد ووسخ، شبّههم به لقلة شجاعتهم وقلة قدرتهم.

«ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة» أي: ليخرجن الله الخوف والرعب من قلوب عدوكم.

«وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»: أي: يرمي

الله الضعف في قلوبكم، وفسّر عليه الصلاة والسلام الوهن بحب الدنيا وكراهية الموت؛ إذ أمة الإسلام أمة مجاهدة، أمة دعوة، فإما حياة بعزة وكرامة، وإما أن تنال الشهادة في سبيلها دون اعتداء على أحد، أو إكراه لأحد، ولكنه تثبيت للحق، ودحض للباطل، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

ما يهدف إليه الحديث

أما الدلالة المعنوية لهذا الحديث، فهو عَلَم من أعلام النبوة، سيق مساق الإخبار المتضمن للتحذير والتنبيه إلى ما سوف تئول إليه الأمة إن لم تَعرف قدر نفسها، ولم تعرف مكانتها التي بوأها الله إياها: « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » [آل عمران: ١١٠]، « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » [البقرة: ١٤٣].

فإذا ما جهلت الأمة المسلمة حقيقتها، وضيّعت واجباتها، واستسلمت للراحة والدعة، تراجعت عن منزلتها، وتركت أسباب خيريتها، وفرّطت في عوامل قوتها، فعندها تلين وتضعف، ويسلط عليها عدوها فيستحلّ أرضها، ويستبيح كرامتها، وينتهك حرمتها، ويدنّس مقدساتها، ويخرّب ديارها، وينهب ثرواتها، ويذلّ أبناءها، وهذا كائن لا محالة إذا ظهرت عوامل وقوعها، نوجزها وباختصار في الآتي:

ظهور عوامل ضعف الأمة

أول هذه العوامل: الاختلاف:

والاختلاف سبب من أسباب تدمير الأمم وفناء الشعوب، وقد حذرنا الله منه حيث يقول: «وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ » [الروم: ٣١ - ٣٢]، وسبب من أسباب الفرقة والشتات.

والمؤمنون إخوة يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم، والله تعالى يقول: «مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » [الفتح: ٢٩]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له الجسد بالسهر والحمى». [مسلم: ٢٥٨٦].

ويترتب على العامل الأول..

العامل الثاني: التنازع والتناحر والفتن:

فإذا ما وقع الخلاف، وإذا ما احتدم النزاع، فإنه يؤدي إلى فتن وإلى محن، وإلى كوارث لا تُحمد عقباها، وذلك متى حكمت الأهواء، وتباينت الآراء، وتعددت التوجهات دون ضابط من شرع، ودون قيد من عقل، وعندها تنشب الفتن، وتحل الخصومات محل المودة والمحبة، وتتوسع دائرة التباين، وتتعمق الهوة بين أخوة العقيدة الواحدة والمصير الواحد، والغاية الواحدة، ولو أن الأمة حكّمت شرع ربها، ومنهج نبيها صلى الله عليه وسلم لحلت كثيرًا من مشاكلها، فالله تعالى يقول: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » [النساء: ٥٩]، ويقول عز وجل: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » [النساء: ٦٥]، ويقول الله تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ

عندما تعود الأمة إلى شريعة ربها فتحكمها، وإلى منهج نبيها فتعيشه واقعًا، فإن المحبة تحل محل الخصومة، والمودة تحل محل النزاع، ويكون رائد الجميع ابتغاء الحق والاهتداء إليه.

﴿الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وعندما تعود الأمة إلى شريعة ربها فتحكمها، وإلى منهج نبيها فتعيشه واقعًا، فإن المحبة تحل محل الخصومة، والمودة تحل محل النزاع، ويكون رائد الجميع ابتغاء الحق والاهتداء إليه، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» [رواه البخاري].

وما يلاحظ اليوم في عالمنا الإسلامي من نزاعات وخصومات داخل كيانه، وبين شعوبه وحكوماته، يجعلنا نتساءل: ألم يكن لهذه الأمة مرجع ترجع إليه؟ وشرْعة تحتكم إليها؟ فنزاعٌ هنا ونزاعٌ هناك، دماء تُسفك، وديار تُدمر، ومقدرات تُهدر، وقطيعة بين الأخ وأخيه، والجار وجاره، مما يجعل الأمة مهددة من داخلها، ويجعل خطرها على نفسها أكبر من خطرها على عدوها عليها.

العامل الثالث: عدم الثقة بين الأمة الواحدة:

وهو يترتب على العاملين السابقين، وهو عدم الثقة بين الأمة الواحدة.

وهذا العامل جرها إلى عدم التكامل فيما بينها، مع المقومات التي تؤهلها لأن تكون في مقدمة الأمم، فلديها مقومات معنوية، فهي تدين بالدين الحق الذي ارتضاه الله عز وجل لعباده، وتحمل العقيدة الصافية النقية التي تتفق مع الفطرة السليمة، ولا تعارض المعقول ولا تعارض الواقع، وتكاليفها مراعية لقدرة الإنسان واستطاعته ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

مقومات الأمة المادية:

أما مقوماتها المادية فهي كثيرة وظاهرة، كثرة عددية تتجاوز المليار، وقوة مادية: زراعة وبترول، ومواد أولية، أرض خصبة واسعة، ومناخات جغرافية متعددة، هذه المقومات لو أحسن توظيفها واستُغلت الاستغلال الأكمل لتغيرت أحوال الأمة؛ شريطة أن يحصل التكامل وتبادل المنافع، وعندما لا تحتاج الأمة إلى غيرها، ولا تذل نفسها وراء السعي بتوفير لقمة العيش من عدوها، وبهذا يكون لها وزن بين الأمم، ويُحسب لها ألف حساب، فلا يُقطع أمرٌ دونها، ناهيك من أن يُنتقص من حقها.

وقوة الأمم اليوم منظومة متكاملة العدد والعدة، القيم والمبادئ، التنسيق والتكامل، أما كثرة الأسماء والمسميات فتلكم هي الحالقة، لا أقول حالقة الشعر، ولكنها حالقة الدين.

> **قوة الأمم اليوم عبارة عن منظومة متكاملة العدد والعُدة، القيم والمبادئ، التنسيق والتكامل، أما كثرة الأسماء والمسميات فتلكم هي الحالقة، لا أقول حالقة الشعر، ولكنها حالقة الدين.**

أعداء الأمة:

أما ما تواجهه الأمة من عدوها فهو أمر ظاهر للعيان، فمؤامرات على الإسلام، وكيد بالمسلمين آناء الليل وأطراف النهار، دماء تُسفك، وجراحات تنزف، وأرض تتقطع.

وفي الجملة فجسم العالم الإسلام مثقل بالجراح، فهو بحاجة إلى من يضمد له جراحه، ويعيد له حقوقه، ويصون له كرامته، وأبناؤه هم المعنيون بذلك، وعلى رأس الأمة قادتها.

والجميع: قادة وعامة، مدعوون إلى السعي الجاد، من أجل تخفيف المعاناة عن المحرومين ورفع الظلم عن المظلومين، وإعادة الحقوق إلى المستضعفين المقهورين، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا». قالوا: يا رسول الله، ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: «تحجزه

وتمنعه، فذلك نصره» [صحيح البخاري].

وعندما نستعرض واقع المسلمين اليوم - ولا نستطيع الإحاطة به- نجده واقعًا مؤلمًا تهتز له المشاعر، وتجزع له النفوس، وواقعًا لا يشرّف أمة منهجها كتاب الله عز وجل، وقدوتها محمد صلى الله عليه وسلم بدءًا بفلسطين أرض الأنبياء ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيها أولى القبلتين، وثالث الحرمين، وانتهاء بأرض البوسنة والشيشان والعراق وأفغانستان والصومال والسودان، وبينهما شعوب وأقليات تعاني الأمرَّيْن من أعداء الإسلام دون نصرة من أخ أو رحمة من عدو، وعدونا - كما يلاحظ- لا يكتفي بما تحت يده من أرضنا ومقدساتنا، بل يريد أرضًا وأمنًا وسلامًا وتجارة ومياهًا، دون أن يعطينا شيئًا مما أخذوه منا، وهذا هو منطق القوي دائمًا، وأصبح من يدافع عن أرضه وعرضه وعن حقوقه ومقدساته في المصطلح العالمي إرهابيًا، ومتطرفًا، وعنيفًا، ومن يقتل ويشرد ويدمر ويغتصب متحضرًا ومسالمًا، وهذا ينطبق على اليهود في فلسطين.

واجب المسلمين نحو أمتهم حتى تصبح أمة قوية:

والمخرج من هذا كله - وحتى لا تتحقق فينا الغثائية التي أصيبت بها الأمة- أن نستعيد تضامننا، وأن نكون إخوة فيما بيننا، الأخوة الإيمانية التي لا تُقدم عليها قرابة ولا جوار، ولا عشيرة ولا قبيلة: «لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ» [المجادلة: ٢٢]، «لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ» [آل عمران: ٢٨]، أن نستعيد تضامننا، وأن نكون كالجسد الواحد الذي وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم، أو كالبنيان الواحد، ينصر بعضنا بعضًا، ينصر قوينا ضعيفنا، ويرحم غنينا فقيرنا، وأن نعتصم بحبل الله عز وجل جميعًا: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا» [آل عمران: ١٠٣].

فالإيمان هو الذي جمع القلوب المتباينة، هو الذي جمع الألوان المتعددة، هو الذي جمع بين أمة متناحرة متباينة.

عندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم نادى الناس باسم الإيمان، ناداهم باسم الإسلام: قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، فلما أن دخلوا في دين الله أفواجًا حتى كانت أمورهم مستقيمة، قائمة على اتباع منهج الله عز وجل، وامتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

> **القوة التي نصَّ عليها حديث «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» متنوعة تشمل قوة إيمانية، وقوة أخلاقية، وقوة اقتصادية، وقوة في الرأي، وسدادًا في القول، وحكمة في التصرف، هذه القوة هي التي يريدها منا الإسلام.**

وأن نحقق فينا ما يريد الله منا وما يريده منا رسول الله صلى الله عليه وسلم، من القوة والعزة والمنعة، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، والقوة التي نصَّ عليها الحديث قوة إيمانية، وقوة أخلاقية، وقوة اقتصادية، وقوة في الرأي، وسداد في القول، وحكمة في التصرف، هذه القوة هي التي يريدها منا الإسلام، وهي التي دعا إليها الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى أوجد أمة قوية في أخلاقها وفي قيمتها، وفي مُثُلها، وفي عاداتها، وتقاليدها.

نسأل الله تعالى أن يرد الأمة الإسلامية إلى الطريق المستقيم، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

درر البحار من ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

الحلقة التاسعة

إعداد/ علي حشيش

١٠٣ - "التَّاجِرُ الْجَبَانُ مَحْرُومٌ، والتَّاجِرُ الجَسُور مَرْزُوقٌ".

الحديث لا يصح: أخرجه القضاعي في «الشهاب» (ح٢٤٣) من حديث أنس مرفوعًا، وفيه محمد بن منصور التستري، قال فيه الحافظ أبو إسحاق الحبال: «كذاب». كذا في «الميزان» (٨٢١٣/٤٨/٤)، و«اللسان» (٤٤٧/٥)، (٨٠٦٧/١٢٨٢).

١٠٤ - "مَا تَرَكَ القَاتِلُ عَلَى المَقْتُولِ مِن ذَنْبٍ".

الحديث لا أصل له: أورده الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩٥/١)، وقال: «لا أصل له، ولا يعرف في شيء من كُتب الحديث بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف أيضًا». اهـ.

١٠٥ - "إنَّ الله قد خَلَقَ الفَرَسَ، فَأَجْرَاهَا فعَرَقَتْ، ثُمَّ خَلَقَ نفْسَهُ منْهَا".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٩١/٦) (١٧٧٦/١٥٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وفيه محمد بن شجاع أبو عبد الله الثلجي من أصحاب الرأي، قال الإمام ابن عدي: «كان يضع الحديث في التشبيه ينسبه إلى أصحاب النبي ليثلبهم به، فلا يجب أن يشتغل به، لأنه ليس من أهل الرواية، حمله التعصب على أن وضع أحاديث يثلب أهل الأثر بذلك».

١٠٦- "إنَّ لله عز وجل ملكًا نصفه من نور ونصفه من ثلج، يسبح يقول: سبحانك يا مؤلف الثلج إلى النور، ولا يطفئ النور برد الثلج، ولا برد الثلج حر النور، ألف بين قلوب عبادك المؤمنين".

الحديث لا يصح: أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (ح٣٣٥) من حديث معاذ بن جبل والعرباض بن سارية مرفوعًا، وفيه حفص بن عمر بن ميمون العدني، ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» (٢١٣٠/٥٦٠/١) وقال: يروي عن ثور بن زيد، ونقل عن النسائي: أنه ليس بثقة، وقال ابن عدي في «الكامل» (٣٨٥/٢) (٥٠٨/١٣٩): «عامة حديثه غير محفوظ». اهـ.

١٠٧ - "الْكَرِيمُ حَبِيبُ الله، ولَوْ كانَ فَاسقًا".

الحديث لا أصل له: أورده الإمام السخاوي في «المقاصد» (ح٨٠٠) وقال: «لا أصل له».

١٠٨- "لو جُمِعَ نَارُ أَهْلِ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ إلا شَرَارَةً من شرار النَّار".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٦٤/٢) (٣٥٣/٢٨) من حديث أبي أمامة، وفيه جُميع بن ثوب الرحبي الشامي، قال فيه البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك الحديث.

١٠٩- "مَا حُدِّثْتُم عَنِّي مِمَّا تُنْكِرُونَه فَلا تَأْخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لا أَقُولُ الْمُنْكَرَ، وَلَسْتُ مِنْ أَهْلِه"

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في «الكفاية» (٥٥٢/٢) (ح١٣٠٨) من حديث جبير بن مطعم مرفوعًا، وفيه سليم بن مسلم المكي الخشاب الكاتب، قال ابن معين: جهمي خبيث، وقال النسائي: متروك، وقال أحمد: لا يساوي حديثه شيئًا، ذكره عنهم الذهبي في «الميزان» (٣٥٤٧/٢٣٢/٢).

١١٠- «إِنَّه سَيَأْتِيكُمْ عني أَحَاديث مُخْتَلفَة، فَمَا جَاءَكُم مُوَافقا لكتاب الله وسُنتي فَهُوَ مني، وَمَا جَاءَكُم مُخَالفا لكتَاب الله وسنتي فَلَيْسَ مني».

هذا الحديث لا يصح، أخرجه الخطيب في «الكفاية» (٥٥٣/٢) (ح١٣٠٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، فيه صالح بن موسى بن إسحاق بن طلحة أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٨٣١/٣٠١/٢) وقال: كوفي يروي عن عبد العزيز بن رُفَيع، قال يحيى: ليس بشيء ولا يُكتب حديثه، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يُتابَع عليه أحد. اهـ. قلت: وهذا يشير إلى أنه ضعيف جدًا.

١١١- "أَمَا شَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ زَوَّجَنِي فِي الْجَنَّةِ مَرْيَمَ بنتَ عِمْرَانَ، وَكلْثم أُخْتَ مُوسَى، وَامْرَأَةَ فِرْعَوْنَ".

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٠٩/٨) (ح٨٠٠٦) من حديث أبي أمامة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة الحديث وفيه عبد النور بن عبد الله ذكره الذهبي في «الميزان» (٥٢٨٠/٦٧١/٢) وقال: عبد النور بن عبد الله المسمعي كذاب، وقال العقيلي: يغلو في الرفض، فالحديث موضوع.

١١٢- "إِنَّ الله تعالى يَبْغُضُ ابنَ السَّبْعِينَ فِي أَهْلِهِ ابنَ عِشْرِينَ فِي مِشْيَتِهِ ومَنْظَرِه".

هذا الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٦٥/٦) (ح٥٧٧٨) من حديث أنس مرفوعًا، قال الإمام الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد، تفرد به موسى بن محمد بن إبراهيم. قلت: رواه عنه يحيى بن العلاء، قال أحمد بن حنبل: كذّاب يضع الحديث، وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال النسائي والدارقطني: متروك، كذا في «التهذيب» (٢٢٩/١١)، أما موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه فهو متروك. قاله الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (٥١٨) فالحديث موضوع.

١١٣- "لَيَأْتِيَنَّ عَلَى جَهَنَّمَ يَوْمٌ كَأَنَّهَا زَرْعٌ هَاجَ، وَاحْمَرَّ تَخْفُقُ أَبْوَابُهَا".

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٩٥/٨) (ح٧٩٦٩) من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وفيه جعفر بن الزبير بصري يروي عن القاسم بن عبد الرحمن سمعت أبي يقول: كان جعفر ذاهب الحديث، لا أرى أن أحدّث عنه، وهو متروك الحديث، وأخرج عن أحمد أنه قال: كان أكذب الناس، والراوي عنه عبد الله بن مسعر، قال فيه أبو حاتم: «متروك».

حماية جناب التوحيد



تعظيم القبور فتنة كل العصور

إعداد / معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ: في سلسلة حديثنا عن حماية جناب التوحيد تحدثنا في المقال السابق عن صور من المنكرات التي تقع عند القبور؛ كالطواف حولها، والنذر لها، والبناء عليها، والصلاة عندها، إلى غير ذلك مما ذكرناه، وفي هذا المقال نتحدث عن الأسباب والدوافع التي أدت إلى فتنة الناس بالقبور عبر العصور، وذلك نصحًا للأمة وإبراءً للذمة.

فنقول مستعينين بالله عز وجل:

أولاً: الغلو في الأنبياء والصالحين:

ويعد هذا من أعظم الأسباب التي أدت إلى فتنة الناس بالقبور وتعظيمها والتعلق بها، وقد حذّر القرآن الكريم من هذا الداء الخطير والشر المستطير، فقال تعالى: «قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ» [المائدة: ٧٧]. قال ابن كثير: «ينهى الله تعالى عن الغلو والإطراء، وهذا كثيرٌ في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحدّ في عيسى عليه السلام، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من خير النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله، يعبدونه، بل غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنهم على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقًا أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشادًا، أو صحيحًا أو كذبًا، ولذلك قال الله تعالى: «ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ» [سورة التوبة: ٣١]، وقال تعالى: «يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ» [المائدة: ٧٧].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين». [النسائي (٣٠٥٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٨٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الشرك في بني آدم أكثره عن أصلين؛ أولاهما: تعظيم قبور الصالحين، وتصوير تماثيلهم للتبرك بها، وهذا أول الأسباب التي بها ابتدع الآدميون..». [الفتاوى: (١٧/٤٦٠)].

ولذلك حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو فيه، وتعظيمه فوق الحد، فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله». [رواه البخاري].

والإطراء هو مجاوزة الحدّ في المدح والكذب فيه.

كما قال البوصيري في غلوه في النبي صلى الله عليه وسلم:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به
سواك عند حدوث الحادث العمم
فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

قال ابن القيم رحمه الله: «إن من أعظم مكائد الشيطان التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته، ما أوحاه قديمًا وحديثًا إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور إلى أن عبدوا أربابها من دون الله، وعُبدت قبورهم، واتُّخذت أوثانًا، وبُنيت لها الهياكل، وصُورت صور أربابها فيها، ثم جُعلت تلك الصور أجسادًا لها ظل، ثم جُعلت أصنامًا، وعُبدت من دون الله، وكان هذا الداء العظيم». [إغاثة اللهفان (١٨٩)].

وكان أول هذا الشرك وبداية هذا الداء في قوم نوح كما قال تعالى: «وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا» [نوح: ٢٣- ٢٤].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت. [البخاري: ٤٩٢٠].

قال ابن القيم رحمه الله: «إن سبب عبادة ود ويغوث ويعوق ونسر واللات، إنما كانت بسبب تعظيم قبورهم، ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوها».

ثم بيَّن رحمه الله أساليب الشيطان وخطواته في إغواء بني آدم، وكيف تدرَّج بالقبوريين حتى عبدوا غير الله، وانغمسوا في أوحال الشرك والوثنية، وسقطوا في الفتنة.

فقال رحمه الله: ما زال الشيطان يوحي إلى عُباد القبور، ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مُستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء والإقسام على الله بها، فإن شأن الله أعظم من أن يُقسَم عليه أو يُسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وسؤاله الشفاعة من دون الله واتخاذ قبره وثنًا تُعلَّق عليه القناديل والستور ويُطاف به ويُقبَّل، ويُحَجّ إليه ويُذبَح عنده، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيدًا ومنسكًا، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم!!

وكل هذا مما قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضادّ لما بَعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم؛ من تجريد التوحيد، وألا يُعبَد إلا الله.. فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن مَن نهى عن ذلك فقد تنقّص أهل هذه الرُّتب العالية وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، فيغضب المشركون وتمشئز قلوبهم، كما قال تعالى: «وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» [الزمر: ٤٥]. أ.هـ . من اغاثة اللهفان

وهكذا ينصب إبليس شَراكه لصيد ضحاياه من بني آدم؛ ليُفسد عليهم عقائدهم، ويستخدمهم عونًا له وأداة لنشر الشرك في الأرض.

ثانيًا: تقليد الكفار والمشركين:

وهذا مزلق خطير من مزالق الشرك، والافتتان بالقبور، وقد حذرت الشريعة من هذا الداء؛ لما يترتب عليه من أضرار وأخطار جسيمة على العقيدة، وتشويه معالم الدين.

قال تعالى محذرًا من موالاتهم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» [المائدة: ٥١].

قال السعدي رحمه الله: «يُرشد الله تعالى عباده المؤمنين ألا يتخذوهم أولياء فإن بعضهم «أولياء بعض» يتناصرون فيما بينهم، ويكونون يدًا على مَن سواهم؛ فإنهم الأعداء على الحقيقة، ولا يبالون بضرّكم، بل يحرّضون على إضلالكم؛ فلا يتولاهم إلا مَن هو مثلهم، ولهذا قال: «وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» [المائدة: ٥١]؛ لأن التولي التامّ يُوجب الانتقال إلى دينهم، والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يندرج شيئًا فشيئًا، حتى يكون العبد منهم». [تفسير السعدي].

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» [الجاثية: ١٨، ١٩].

قال شيخ الإسلام: «إن الله تعالى قد جعل محمدًا على شريعة من الأمر شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في (الذين لا يعلمون) كل من خالف شريعته، وأهواؤهم هي ما يهونه وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع ذلك، فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباعٌ لما يهوونه». [اقتضاء الصراط ١/٨٥].

ولهذا حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من مشابهة المشركين، فقال: «من تشبَّه بقوم فهو منهم». [أخرجه أبو داود (٤٠٣١) وصححه الألباني].

ثم بَيَّن شيخ الإسلام أن هذا التشبه هو الذي جرَّ عُبَّاد القبور، وساقهم إلى ما هم فيه من ضلال، فقال رحمه الله: «والذين يعظمون القبور والمشاهد لهم شَبَهٌ شديد بالنصارى، حتى إني لما قدمتُ القاهرة، اجتمع لي بعضُ مُعَظّميهم من الرهبان، وناظرني في المسيح ودين النصارى، حتى بيَّنت له سبب فساد ذلك، وأجبته عما يدّعيه من الحجة، وبلغني بعد ذلك أنه صنَّف كتابًا في الرد على المسلمين، وأحضره إليَّ بعض المسلمين، وجعل يقرءوه عليَّ لأجيب عن حجج

النصارى، وأبيّن فسادها..

وكان مما قلته للنصراني: أنتم مشركون، وبيّنت من شركهم ما هم عليه من العكوف على التماثيل والقبور، وعبادتها، والاستغاثة بها. قال لي: نحن ما نشرك بهم ولا نعبدهم، وإنما نتوسل بهم، كما يفعل المسلمون إذا جاءوا إلى قبر الرجل الصالح فيتعلقون بالشباك الذي هو عليه، ونحو ذلك... فقلت له: وهذا أيضًا من الشرك، ليس هذا من دين المسلمين، وإن فعله الجهال، فأقرَّ أنه مشرك، حتى إن قسيسًا كان حاضرًا في هذه المسألة، فلما سمعها قال: نعم، على هذا التقدير نحن مشركون!!

وكان بعض النصارى يقول لبعض المسلمين: لنا سيدٌ وسيدة، ولكم سيد وسيدة، لنا السيد المسيح والسيدة مريم، ولكم السيد الحسين والسيدة نفيسة!!

فالنصارى يفرحون بما يفعله أهل البدع والجَهَلة من المسلمين مما يوافق دينهم ويشابهونهم فيه». [الفتاوى: ٢٧/٤٦١].

ومن تأمل ما يفعله القبوريون - من ضلالات - يظهر له بوضوح أن ما يفعلونه ما هو إلا امتداد لعادات وثنية شركية كانت سائدة قبل البعثة المحمدية.

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «في (نبارس) بلدة بالهند قبر أبي البشر آدم عليه السلام، وقبر زوجته، وقبور قضاته، وهي تحت قباب مصفَّحة بالذهب كقبة أمير المؤمنين عليّ بالنجف، وقباب غيره، وجميع هذه القبور تُعبَد بالطواف حولها، والتمسح بها، وتلاوة الأدعية والأوراد عندها؛ كغيرها من تماثيل معبوداتهم، مع الخشوع، وبذل الأموال، والنذور لها ولسدنتها». اهـ.

وهكذا يتبين لنا خطر مشابهة الكافرين والمشركين على عقائد المسلمين وأثرها في نشر الفساد في الأرض.

ثالثًا: ضلالات وخرافات يروِّج لها سدنة القبور، بزعم الكرامات، استغلالاً للجهال:

لقد اتخذ سدنة القبور أساليب متعددة من أجل جذب البسطاء والجهلة، وخداعهم بما يروِّجونه لهم من ضلالات وخرافات عن أصحاب القبور تحت زعم الكرامات.

قال الشوكاني رحمه الله: «وقد يجعل الشيطان طائفة من إخوانه من بني آدم يقفون على القبر يُخادعون من يأتي إليه من الزائرين، ويهوِّلون عليهم الأمر، ويصنعون أمورًا من أنفسهم وينسبونها إلى الميت، ويصنعون أكاذيب مشتملة على أشياء يسمونها «كرامات» لذلك الميت، ويبثّونها في الناس، ويكرِّرون ذكْرها في مجالسهم وعند اجتماعهم بالناس، فتشيع وتستفيض، ويتلقاها من يحسن الظن بالأموات، ويَقْبَل عقلُه ما يروى عنهم من الأكاذيب، فيرويها كما سمعها، ويتحدث بها في مجالسه، فيقع الجهال في بلية عظيمة من الاعتقاد الشركي، وينذرون لذلك الميت كرائم أموالهم، ويَحْبِسُون على قبره من أملاكهم ما هو أحبّها إلى قلوبهم؛ لاعتقادهم أنهم ينالون بجاه ذلك الميت خيرًا عظيمًا وأجرًا كبيرًا!!! ويعتقدون أن ذلك قربة وطاعة نافعة وحسنة متقبلة..». [شرح الصدور ص٣٢]

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويوضح ابن القيم رحمه الله طرائق القبوريين وأساليبهم في خداع الناس، ويكشف زيفهم وضلالهم، ويدحض شبهاتهم فيقول: «ومنها حكايات حُكيت لهم عن تلك القبور؛ أن فلانًا استغاث بالقبر الفلاني في شدة؛ فَخَلَصَ منها، وفلانًا دعاه في حاجة فقُضيتْ له، وفلانًا نزل به ضرٌّ فاسترجى صاحبَ القبر فكَشَفَ ضرَّه..

وعند هؤلاء السدنة شيء كثير من ذلك يطول ذكره، وهم من أكذب خلق الله تعالى على الأحياء والأموات، والنفوس مُولَعةٌ بقضاء حوائجها، وإزالة ضروراتها، والشيطان له تلطف في دعوة هؤلاء، فيدعوهم أولاً إلى الدعاء عنده، فيدعو العبد عنده بانكسار وذلة، فيجيب الله دعوته؛ لما قام بقلبه، لا لأجل القبر، فيظن الجاهل أن للقبر تأثيرًا في إجابة تلك الدعوة، والله تعالى يجيب دعوة المضطر ولو كان كافرًا، فليس كل من أجاب الله دعاءَه يكون راضيًا عنه، أو مُحبًّا له، أو راضيًا بفعله، فإنه يجيب البرَّ والفاجر، والمؤمنَ والكافرَ.

وكثير من الناس يدعو دعاءً يعتدي فيه، أو يشترط فيه، أو يسأل ما لا يجوز أن يُسأَل، يحصل له ذلك أو بعضه، فيظن أن عمله صالح مُرْضٍ لله، ويكون بمنزلة من أُمْلِيَ له وأُمِدَّ له بالمال والبنينَ، وهو يظن أن الله يسارع له في الخيرات، وقد قال الله تعالى: «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ» [الأنعام: ٤٤]. [إغاثة اللهفان: ٢٢٠، ٢٢١].

ولو ذهبنا نتحدث عن ضلالات وخرافات القوم المزعومة بـ«الكرامات»، لسودت من أجل ذلك صفحات وصفحات، فإلى الله تعالى المشتكى.

مسألة مهمة:

لا يعني إنكارنا لما يدعيه هؤلاء من كرامات منسوبة للمقبورين زورًا وبهتانًا أننا ننكر أصل الكرامة، كلا، فالكرامة الشرعية ثابتة غير مشكوك فيها لمن اختارهم الله من عباده واصطفاهم لا مطعن في ذلك، ومما يميز هؤلاء إخفاء تلك المنح والمواهب الربانية وعدم المتاجرة بها، بل تدفعهم إلى محبة الله والإخلاص له، ومن راجع سير سلف صالحي الأمة تبين له ثبوت الكرامة الربانية للصحابة والتابعين ومن سار على الهدى المستقيم.

وختامًا، فهذه الأسباب التي ذكرناها، وغيرها كثير، هي التي أدت بالناس إلى تعظيم القبور، والافتتان بها عبر العصور، فصرفوا إليها العبادات، ودعوا أربابها لقضاء الحاجات وتفريج الكربات، وقدموا لها النذور والهبات، وطافوا حولها وتبركوا بها، إلى غير ذلك من الضلالات، فالواجب على العلماء والدعاة أن يبذلوا النصح والتوجيه للأمة ببيان حقيقة التوحيد، وثماره، وبركاته، والتحذير من الشرك وأخطاره، حتى يندحر الباطل، وتنقطع أسبابه، «وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ» [يونس: ٨٢].

والله من وراء القصد.

حوار التوحيد مع وزير

حوار التوحيد

أجرى الحوار/ سامح أبو الروس

■■ بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعدُ:

ففي حياة الأمم تتقلب الأحوال، فيرفع الله أقوامًا، ويضع آخرين؛ سبحانه وتعالى بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء، تذكرنا هذه السُّنَّة الربانية ونحن في طريقنا لمقابلة معالي وزير الأوقاف العالِم الجليل الأستاذ الدكتور طلعت عفيفي، حفظه الله، ومرت أمام أذهاننا أيامًا طوالاً عانينا فيها تسلط الوزارة على الدعوة والدعاة، حتى قال أحدهم يومًا: إنها ليست وزارة الأوقاف، وإنما هي وزارة وقف حال الدعوة !!

وبين عشية وضحاها غيَّر الله عز وجل الأحوال، ويسَّر المجال ليتولى أصحاب الحق ويُوَسَّد الأمر لأهله، أو كذلك نحسبهم، والله حسيبهم.

ذهبنا إلى الوزارة لمقابلة عالِم جليل؛ فهو قبل أن يكون وزيرًا للأوقاف كان عميدًا لكلية الدعوة وأصول الدين، تخرج على يديه أجيال من الدعاة يحملون أمانة الدعوة إلى الله، ذهبنا إليه يحدونا قوله تعالى: « ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ »، حاولنا في هذا اللقاء مع معالي وزير الأوقاف أن نعرف نظرته لهذا المنصب المهم، وما الذي يريد تحقيقه من خلال هذا الموقع للدعوة والدعاة، ونظرته للدعاة داخل الوزارة وخارجها، والأطر التي تجمعه بالجمعيات الإسلامية العاملة بمجال الدعوة ورعاية المساجد، وما الذي حققه حتى الآن وما الذي لم يحققه ولماذا لم يحققه؟ وما هي أهم العقبات التي تواجهه في حربه ضد الفساد والمفسدين في الوزارة وهيئاتها؟ وغيرها من الملفات الساخنة التي تشغل عقول وقلوب المحبين للدعوة وللمساجد، ورغم سخونة القضايا وتشعبها فلقد قابلها فضيلته بصدر رحب وتفاؤل لافت وهمة نرجو من الله عز وجل أن يُعَان بها على تحقيق المنتظر من هذه الوزارة المهمة.

وهذا هو اللقاء الأول مع معالي الوزير، يعقبه لقاءات أخرى بإذن الله في المستقبل القريب حول الكثير والكثير مما يشغل البال، ويهفو إليه المآل، وإلى الحوار ■■

ـــر الأوقاف الدكتور / طلعت عفيفي

الفكر الوسطي المعتدل

التوحيد: معالي وزير الأوقاف، وأنتم اليوم تتولون منصبًا وزاريًا غير عاديّ؛ حيث إن وزارة الأوقاف منوطة بشئون الدعوة والدعاة في مصر، نريد من فضيلتكم توضيح رؤيتكم التي وصلتم إليها من خلال توليكم هذا المنصب، ونظرتكم إلى أحوال الدعوة والدعاة؟

أجاب معالي الوزير قائلاً: لا شك أنه في داخل كل مؤسسة أو مجموعة من الناس سواء في الأوقاف أو غيرها من هو مجيد ومجد، يبذل ويعطي، ومن هو ضعيف بطبيعته وبطبيعة تكوينه العلمي فهذا ينطبق أيضًا على الأئمة والدعاة، ونحن نحاول أن نرتقي بمستوى الأئمة العاملين والمحسوبين على وزارة الأوقاف؛ من خلال الدورات التدريبية التي تعددت، ومن خلال فتح ملف التدريب في مراكز التدريب التي تنتشر على مستوى الجمهورية، والتي سوف نزيدها من سبعة مراكز إلى اثني عشر مركزًا في الميزانية الجديدة إن شاء الله تعالى، إضافة إلى ذلك حاولنا أن نتخير أئمتنا من خلال عمل مسابقة للأئمة لنختار من خلالها المتميزين في حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية واللغة العربية والثقافة الإسلامية والفكر الوسطي المعتدل الذي لا ينحرف يمينًا أو يسارًا، فهذه محاولة لتحسين وضع وصورة أئمة الأوقاف في أنحاء مصر، سواء كان موجودًا في الوزارة بالفعل أو سيتم تعيينه فيها.

دعاة الأوقاف ودعاة الجمعيات والأزهر

التوحيد: معالي الوزير، هل ترون أن الإمام والداعية فقط هو المحسوب على وزارة الأوقاف أم أن الصورة التي تعملون على تطويرها بالرعاية والمتابعة والتوجيه هي صورة أشمل من ذلك؟

يرد سيادته قائلاً: دون شك الإمامة والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى لا تقتصر على أئمة الأوقاف، فهناك أئمة تابعون للأزهر الشريف وهناك أئمة تابعون للجمعيات الأهلية المهتمة بالدعوة، فمفهوم الداعية أعم، والفرق بين الإمام في وزارة الأوقاف وغيره هو أن الإمام في الوزارة معين ويتقاضى راتبًا على تفرغه لأجل أداء هذه المهمة.

أبوابنا مفتوحة للراغبين في العمل الدعوي

التوحيد: معالي وزير الأوقاف، هل هناك من فرصة للأئمة المجتهدين من غير العاملين بوزارة الأوقاف ويشتاقون للتطوع والعمل في خدمة المساجد التابعة للوزارة؟

ويرد الدكتور طلعت عفيفي قائلاً: عندنا من البنود ما فيه طريقة للحصول على إمكانية العمل من خلال مساجد الأوقاف عن طريق خطباء المكافأة، وهذه أيضًا نعيد النظر فيها مرة أخرى بحيث نعيد تقويم وتقييم خطباء المكافأة، فمن أثبت منهم جدية وحضورًا واهتمامًا وأداء للعمل نبقي عليه ومن لا يكون على هذا المستوى نحاول أن نفتح الباب أمام آخرين حتى نختار الأكفأ لحمل هذه الأمانة في التبليغ عن الله تعالى والتي وصفها الله بقوله: «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني».

موقف الوزارة من المساجد التي تم اغتصابها من الجمعيات

التوحيد: ترون فضيلتكم في العهد السابق كيف ظلم أصحاب الأوقاف كثيرا وأخذت

إن هناك رغبة وإصرارًا على القضاء على الفساد، ووضـع آليـات اختيار الصالحين الأكفاء لتولي مناصب الوزارة، فلا تكون الوظائف حكرًا على أناس بأعينهم، فبهذا تكون لوزارة الأوقاف هيبة وشكل يليق بمكانتها.

منهم أوقافهم عنوة، وتعلمون أن كثيرًا من الجمعيات المشرفة على المساجد تم أخذ مساجدها عنوة وعلى غير رغبة أصحاب الوقف، فما فرص هؤلاء في عهد فضيلتكم ليرد إليه حقهم؟

ويرد معاليه وترتسم على وجهة علامات الأسى قائلاً: ليست الجمعيات وحدها التي تم أخذ أوقافها فأراضي وزارة الأوقاف المعتدى عليها كذلك نقوم الآن بحصرها ومعرفة ما بأيدينا من حجج تتعلق بهذه الأراضي، ونخاطب الجهات المسئولة لإعادة هذه الأراضي المسلوبة أولاً إلى الأوقاف مرة ثانية، سواء كانت سُلبت باسم الإصلاح الزراعي، أو تم التعدي عليها بواسطة أشخاص أو ما إلى ذلك، أما بشأن المساجد فلدينا الآن بروتوكول تعاون بيننا وبين الجمعيات العاملة في الدعوة والتي تتصف بالوسطية والموضوعية؛ بحيث يكمل بعضنا بعضًا، ونفسح لهم المجال للمساجد التي كانت تابعة لهم لترد إليهم تحت إشراف عام من وزارة الأوقاف، وتتشكل لجنة من هذه الجمعيات تبحث في الرقي بمستوى الخطاب الدعوي، وفي محاولة الرقي بمستوى المنابر سواء كان المسجد تابع لوزارة الأوقاف أو غيرها، ولدينا الآن إدارة خاصة أنشأناها داخل الوزارة سميناها إدارة مساجد الجمعيات التي ضمت من قبل ضمًا أمنيًا، ونحاول الآن أن نفعّلها بشكل أفضل حتى نتعاون مع الجمعيات العاملة في الدعوة، ولا نتضاد أو نتعارض معها.

لا بد من إعادة الثقة في وزارة الأوقاف مرة ثانية!!

التوحيد: معالي الوزير، لماذا لا نرى في الوقت الحالي وبعد هذه الفتوحات طفرة في الأوقاف لاسيما وأن الناس مازالت في عزوف عن وقف أموالها لصالح الدولة بعد فقدان الثقة فيها؟

ويجيب معاليه بنبرة متسارعة قائلاً: إن فقدان الثقة كان فيمن تولوا مسئولية هذه الأوقاف، وتدخل الحكومات المتعاقبة في الاستيلاء على أموال الوقف، أدى إلى عزوف الكثيرين عن وقف أموالهم نظرًا لما رأوه بأم أعينهم من الاستغلال غير الطيب والتعدي على أراضي الأوقاف، لكننا نأمل في المستقبل القريب إن شاء الله أن تعود للوقف مكانته، وبخاصة أن الدستور الجديد ينص في أكثر من مادة على رعاية الوقف وفتح الباب أمام المزيد منه، واهتمام الدولة بشأنه وما إلى ذلك. لكن يبقى الأساس والأصل هو إعادة الثقة المفقودة بين وزارة الأوقاف وبين الواقفين.

التوحيد: فضيلة الدكتور: هل تسمحوا لنا بالتعرف على الخطط التي تم وضعها لحث الناس على إحياء سنة الوقف الخيري، والتصورات الموضوعة للحث على إحياء هذه السنة المهجورة؟

أجاب معاليه: أولاً أنا أحث الناس على إحياء تلك السنة، وإنه حتى هذه اللحظة هذه مجرد أفكار تُطرح، ولكن كثرة الملفات التي تُطرح علينا تجعلنا نؤخر أحيانًا ملفًا لحساب ملف آخر أكثر ضرورة لكن في النية أن نفتح المجال على مصراعيه لمسألة الوقف وأن نناشد المسلمين جميعًا العمل على إحياء

هذه السنة التي من شأنها أن تنعش مجال الدعوة وحفظ القرآن وبناء المساجد ورعاية الأئمة، وما إلى ذلك، لكن حتى هذه اللحظة لم نبدأ وإنما هي مجرد أفكار، ومن الواجب أن نستغل كل الإمكانات والقدرات المتاحة لأجل حشد المسلمين وإقناعهم بأهمية الوقف وضرورة تجديد العهد به مرة أخرى، وفي سبيل ذلك ستكون الحملة في وسائل الإعلام والصحف، وكذلك الدعوة في المساجد، والتواصل مع رجال الأعمال مع أصحاب الأموال ونتواصل مع كل من لديه قدرة على دفع هذه المسيرة إلى الأمام، وهذا واجب علينا أن نصل إليهم حتى يقتنعوا وتعود الثقة مرة أخرى إن شاء الله.

التوحيد : هل ترى فضيلتكم أن من الممكن توسيع دائرة التعاون مع الجمعيات الإسلامية في هذا المجال، فهي كذلك تحتاج إلى الوقف وهناك ثقة متبادلة بينها وبين الناس خاصة والوزارة بالفعل تتعاون مع هذه الجمعيات في مجال رعاية المساجد؟

أجاب فضيلته قائلاً: لكل حادث حديث، أما الآن فالأوقاف هيئة حكومية مراقبة من الجهاز المركزي، ولديها حسابات خاصة بها لاستثمار هذه الأموال بشكل ربما يختلف عن الجمعيات العاملة في هذا المجال، لكن ساعة أن نبدأ يمكن أن نستمع إلى المقترحات، وإذا أمكن التعاون في هذا المجال فلن نتأخر إن شاء الله.

ما هي خطتكم ورؤيتكم لتطهير الوزارة من الفساد؟!

التوحيد : يقول النبي صلى الله عليه وسلم « بادروا بالأعمال فتناً » ونحسبكم بإذن الله من المسارعين المبادرين بالبذل، فما هي أهم الأولويات التي تسابقون بها الزمان وتبادرون بها قبل فوات الأوان؟

أول أولية هي تطهير الوزارة من الفساد الواقع فيها، وإعادة وضعها على الخط المستقيم، والإستراتيجية التي يتبناها أي مسئول يأتي بعد ذلك ليطور هذه الوزارة، فنحن نضع هذه اللبنة بتطهير الوزارة من الفساد، ومحاولة إعادة الثقة بين هذه الوزارة الرائدة المحورية وبين الناس وبينها وبين المساجد وبينها وبين الإمام، هذه كلها أمور من شأنها أن تعيد الوزارة مكانتها ونسأل الله أن يعيننا على هذا الأمر.

> نحن نضع هذه اللبنة بتطهير الوزارة من الفساد، ومحاولة إعادة الثقة بين هذه الوزارة الرائدة المحورية وبين الناس وبينها وبين المساجد وبينها وبين الإمام، هذه كلها أمور من شأنها أن تعيد الوزارة مكانتها .

فساد أشخاص أم فساد تشريعات؟!

التوحيد : هل الفساد في الوزارة فساد أشخاص أم فساد تشريعات تشوّه وجه الوزارة؟

أجاب سيادته بأن الأمر هو مزيج بين هذا وذاك، ونحن نحاول أن نسير في الاتجاهين، وأصدرنا قرارات وزارية لإصلاح المسجد وإصلاح الأئمة وإصلاح الدعوة، وهناك بعض القوانين الخاصة بتعيين العمالة على المساجد بشكل أدى إلى إفساد المسجد، وانتشار الرشوة والمجاملات والمحسوبية، وهذه كلها نحاول أن ندفع بها لتعديلها وإلغائها في حين نضع البديل الأفضل والأقوم لها، وكذلك نهتم بتحسين أحوال الأئمة من حيث الجانب المادي، فهذه كلها مجالات متعددة نحاول أن نصل من خلالها إلى الأصوب إن شاء الله.

الإعراض عن الجاهلين

التوحيد : فضيلتكم في المقام الأول عالم

> **إذا تمكن الداعية أن يملأ موقعه، وأن يكون ملء السمع والبصر وأدى عمله على الوجه الأكمل والأتم لن يستطيع أحد أن يتطاول عليه باللسان أو يشير إليه بالبنان.**

جليل ومربي للدعاة، فما هي النصيحة التي توجهها للدعاة عموما وليس للدعاة العاملين فقط بوزارة الأوقاف في هذه الجو خاصة والأئمة أصبحوا وكما ترى معرضون للكثير من المشكلات في دروسهم وخطبهم من محاولات التعدي والإشكالات فكيف يتعاملون مع هذه المواقف؟

فاجاب فضيلته بأنه إذا تمكن الداعية أن يملأ موقعه، وأن يكون ملء السمع والبصر وأدى عمله على الوجه الأكمل والأتم لن يستطيع أحد أن يتطاول عليه باللسان أو يشير إليه بالبنان إذا كان ملء السمع والبصر، فمن المهم جدا أن أكون قويًا في حجتي ومادتي العلمية قادرًا على ملء مكاني، وأن أكون إلى جانب ذلك قدوة حسنة وأسوة طيبة يسمع الناس مني كلامًا يرونه في تصرفاتي أفعالاً هذا هو العامل الأساس في فرض الداعية احترامه على الكل، ولا يستطيع أحد أن يتكلم معه فإن حدث فليلزم قوله تعالى: «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما».

التوحيد: هل من كلمة توجهونها فضيلتكم للجمعيات العاملة في مجال الدعوة؟

أجاب سيادته: أتمنى أن نتعاون وأن نتطاوع، وألا نختلف، فنتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، وأن نختار الأفضل والأصلح في كل موقع من المواقع حتى تكون صورة طيبة للدعوة، فنحن نتعامل لا تعبيرًا عن أنفسنا وذواتنا ومؤسساتنا، ولكن أي إيجابية ستحسب لديننا وأي سلبية ستحسب على ديننا، فيجب علينا ألا تكون دعوتنا تصد الناس عن سبيل الله، وهذا يستلزم بالضرورة أن نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، وأن نعطي القدوة الحسنة من أنفسنا، ونختار من يتولى ويبوأ مكانة الدعوة فيما بيننا على أن يكون صورة طيبة للدعوة التي ينتسب إليها.

كيفية إدارة العمل في المساجد

التوحيد: كيف ترى فضيلتكم الطريقة المثلى لإدارة العمل داخل المسجد حتى لا تقع مشكلات وفتن بين المصلين بعضهم البعض أو بينهم وبين الأئمة خصوصًا في هذه الأوقات التي يعجب كل امرئ فيه برأيه؟

قال الدكتور عفيفي: أرى أنه إذا كان الأمر يتعلق بخلافات فقهية فيما هو محل للاجتها فينبغي لنا أن نتقبل الرأي والرأي الآخر، وأن يسع بعضنا بعضًا فلا ألزم الآخرين برأي هو محل للاجتهاد، وإنما رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري أيضًا صواب يحتمل الخطأ، وتحدث المشكلات عندما ألزم الآخرين باجتهادي، والآخرون يلزمون الإمام باجتهاداتهم، فتحدث المشكلة، ولكننا إن اتفقنا على الأصول والمبادئ الكلية، وتركنا المساحة واسعة للاختلافات الاجتهادية، وقبل بعضنا بعضا فيها لن يحدث خلاف إن شاء الله.

انصر الحق ولو كنت وحدك

التوحيد: هل ترى معالي الوزير أن الوقت الذي نحن فيه وقت تدافع، المنافح فيه والمجتهد والعامل خير من الخامل القاعد، أم أنه وقت فتن الجالس فيه خير من القائم؟

فقال فضيلته: النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» فلا بد من أن أكون إيجابيًا ولا أنسحب من الميدان، وإنما أحاول أن أنصر الحق ولو كنت وحدي، فلقد علمنا رسولنا صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»، فلا ينبغي الانسحاب من الميدان، وإنما يجب أن أتمسك بالحق وأدعو الناس إليه وأثق في نصر الله.

المشروعات المستقبلية لوزارة الأوقاف

التوحيد: ما هي أهم المشروعات على خريطة أعمالكم لاستثمار أموال هيئة الأوقاف؟!

نحن نقوم بمشروعات تنمية في إطار بروتوكولات لمجالات تعاون بيننا وبين المحافظات؛ تُعرض من خلالها علينا المشروعات، ونحن نختار منها ما يتناسب مع إمكانياتنا وقدراتنا، فيمكن أن نتبنى مشروعًا وندفع فيه ببعض المال كهيئة أوقاف، وتدخل معنا شركات أخرى استثمارية بأموالها وتصبح المشاركة فعلية، والاستثمار بناءً، من أجل تنمية مال الوقف، ولأجل تنمية المشاريع الخيرية التي تدرّ دخلاً على الدولة، وكذلك توفر فرص عمل وغيرها من المنافع، فهذه البروتوكولات هي عبارة عن إطار عام للعمل الذي يسمح لنا ولغيرنا أن يكون جزءًا فيه ونحن نأخذ من هذه المشروعات بعض مما يتناسب معنا، وقد بدأنا بالفعل في أسوان مشروعًا وإن شاء الله تليه مشروعات أخرى.

> **وزارة الأوقاف وزارة دعوة إلى الله، فلا يتناسب معها أن يكون فيها فساد أو مفسدون، وإنما لا بد أن يكون من يعمل فيها قدوة حسنة وأسوة طيبة.**

هيئة الأوقاف وإدارة أموال الوقف

التوحيد: هل أرباح هذه الاستثمارات تدخل خزينة الدولة أم تعود إلى الوزارة؟

فأجاب سماحته: هيئة الأوقاف هي المخولة باستثمار أموال الوقف بالطبع وبالنسبة للوقف « الأصل الثابت» لا نملك التصرف فيه، لكن نتعامل مع الريع العائد من استثمار هذه الأوقاف، فيصرف منه على العاملين والموظفين والهيئة العامة التي ترعى هذا المال بنسبة ١٥٪ ويحبس من ١٠٪ لأي مصاريف طارئة، والباقي ٧٥٪ يأتي إلى وزارة الأوقاف للإنفاق منه على ما أوقف أصحاب الوقف مالهم عليه، مثل العمال، المساجد، الدعوة إلى الله، الابتعاث إلى الخارج، إعانة العاجزين عن أداء فريضة الحج، وغيرها من الأبواب الكثيرة جدا، ونحن في الفترة الأخيرة أخذنا موافقة على أن نعطي الأئمة جزءًا من هذا الريع بشكل منتظم شهريًا بإذن الله.

كيفية استرداد أموال الوقف المنهوبة

التوحيد: ما موقف الوزارة في عهد فضيلتكم من قضية أموال الوقف المنهوبة وهل ترون أنه من الممكن استردادها؟

فأجاب فضيلته قائلاً: الآن هذا شيء طبيعي، ونحن على تواصل مع رئيس الوزراء وهناك لجان مشكلة حاليا لحصر كافة الأراضي التي تخص الأوقاف، وتقنين أوضاعها بحيث لا يستمر الاستيلاء عليها تحت مسمى الإصلاح الزراعي أو غيره، ونعيد هذه الأراضي إلى الأوقاف مرة أخرى، وهذا يعتبر بالنسبة للوزارة أمر جديد فلم يكن هناك من قبل أحد يسأل عن هذه الأموال ولا يطالب باستردادها، لكننا الآن بدأنا نفتش عنها، وكان هناك اجتماع منذ أيام مع رئيس هيئة المساحة ورئيس توزيع أراضي الدولة ورئيس الوزراء ومسئولين من كافة الجهات لإعادة أراضي الأوقاف مرة أخرى، وهذا يجري الآن ولله الحمد، ولكن الزمن جزء من العلاج، وأحاول أن يتم هذا الأمر خلال فترة ولايتي للوزارة، ونحن نعيش في رواسب إرث من السنين يزيد عن خمسين سنة، فنحن نحاول أن نعيد هذا الحق، ولا يظن أحد أن هذا يحدث بمجرد أن يغمض عينا ويفتحها ليجد كل ما تمناه تحقق والحمد لله حتى الآن لم يقل لنا أحد: إنه لا يريد أن يرد إلينا أوقافنا ولم نجد في هذا الأمر إلا كل تعاون، ونحن نسعى في البداية إلى تقنين أوضاع هذه الأوقاف من سجل عيني وشهر عقاري وحجج، ولكن نحتاج كذلك إلى الرفع المساحي لهذه الأراضي، وهذا سيتم تفعيله في الأيام القلية القادمة بالتعاون مع هيئة المساحة المصرية ليتم رفع هذه الأراضي ككل مساحيًا، وبعد ذلك إذا كان عليها تعديات فسوف نتعامل مع المعتدين عليها.

ضعف رواتب الأئمة برغم إمكانيات الوزارة

التوحيد: وزارة الأوقاف وزارة غنية ومع ذلك نلحظ ضعف في رواتب الأئمة والخدمات المقدمة لهم فما السبب وراء ذلك؟

فقال سيادته: الوزارة غنية بأصولها وما تمتلكه الوزارة من الأراضي فقط ما شاء الله لا قوة إلا بالله يقدر بمئات الآلاف من الأفدنة، لكن المشكلة أن هذه أصول، لكن ريعها قليل للغاية مع الأسف، فالإيجارات التي تُدفع للوزارة إيجارات متدنية للغاية، فمثلا الأراضي الزراعية تجد فدان الأرض التابع للوزارة مؤجر بمائتي جنيه في حين أن المجاور له يؤجر بخمسة آلاف جنيه وإذا حاولت رفع السعر تحدث الكثير من المشكلات، وهذه إشكالية قانونية لعل الله ييسر وتتغير.

أسس نجاح وزارة الأوقاف ووزيرها

التوحيد: بعد عمر مديد وعمل متقبل رشيد بإذن الله ما هي اللبنة التي وضعتموها والقاعدة التي أرسيتموها لمن يخلفكم في وزارة الأوقاف ليبني عليها؟

فقال فضيلته: إن هناك رغبة وإصرارًا على القضاء على الفساد، ووضع آليات اختيار الصالحين الأكفاء لتولي مناصب الوزارة، فلا تكون الوظائف حكرًا على أناس بأعينهم، فبهذا تكون لوزارة الأوقاف هيبة وشكل يليق بمكانتها، فهذه وزارة دعوة إلى الله، فلا يتناسب مع وزارة الأوقاف أن يكون فيها فساد أو مفسدون، إنما لا بد أن يكون من يعمل فيها قدوة حسنة وأسوة طيبة، ولذلك بدأنا بطرح فرصة لكل من يتولى منصبًا في الوزارة ليتقدم هو وغيره ونأخذ الأكفأ والأقدر وأرى أن هذا هو طريق الإصلاح بمنع أي وسيلة من وسائل التدخل، بواسطة أو رشوة أو محسوبية أو غير ذلك، وإنما وضع قواعد تحدد من يختار لهذا الأمر أو لا يختار، بناء على كفاءته، وعلى أمانته في كل عمل نقوم به، والله من وراء القصد.

أنــواع الــتـربــيــة المـطـلـوبـة:
الــتـربـيـة العـقـائـديـة

فأول ما يجب أن يتربى عليه الشاب المسلم: العقيدة الصحيحة، وهي العقيدة السلفية التي مضى عليها سلف الأمة رضي الله عنهم، فقد جعل الله عز وجل عقيدة الصحابة رضي الله عنهم هي المقياس للعقيدة الصحيحة، فقال تعالى: «فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟» (البقرة:١٣٧)، وبيَّن عز وجل أن غاية خلق الجن والإنس إفراد الله عز وجل بالعبادة، ومعرفته عز وجل، فقال الله تعالى:«وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات:٥٦).

إعداد/ د. أحمد فريد

كما بيّن عز وجل أن غاية الرسل وهدفهم تعبيد الناس لله عز وجل، فقال تعالى
« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ » (النحل:٣٦)
وقال تعالى«وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ » (سورة الأنبياء:٢٥)

وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن حق الله على العباد أن يعبدوه وحده لا شريك له، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: «يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد، وحق العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوه به شيئاً وحق العباد على الله: ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً» فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا» متفق عليه.

وأول أمر في كتاب الله عز وجل الأمر بالتوحيد: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (البقرة:٢١)

وما أتى الأمر بالتوحيد في كتاب الله عز وجل أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم مع مجموعة من الأوامر إلا كان الأمر بالتوحيد أول الأوامر.

وما أتى النهي عن الشرك مع مجموعة من النواهي في كتاب الله عز وجل أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلا كان النهي عن الشرك هو أول النواهي، فما أمرت الرسل بشيء قبل التوحيد، وما نهت عن شيء قبل الشرك.

ولما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، فإذا هم عرفوا الله فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة...» متفق عليه.

وهذا ربعي بن عامر رضي الله عنه أحد تلامذة رسول الله صلى الله عليه وسلم يلخص رسالة الدعاة في كل زمان ومكان فيقول: «إن الله ابتعثنا لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

وسورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن تشتمل على نوع واحد من التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات، وكذا آية الكرسي وهي أعظم آية في كتاب الله ليس فيها إلا صفات الرب سبحانه وتعالى.

فكل دعوة لا تهتم بأمر التوحيد وتربي أبناءها عليه، وتسقيهم العقيدة الصحيحة فهي دعوة على غير هدى المرسلين، فتقسيم بعض الناس أمور الدين إلى قشر ولباب تقيم قبيح، وأقبح منه اعتبار أمور العقيدة والاهتمام بها من القشور التي تعامل عندهم بالإهمال والطرح.

فهذه إشارة سريعة إلى أهمية التوحيد والتربية العقائدية ولا ينبغي أن نفهم أن المراد بالتوحيد هنا توحيد الصانع، كما تفهم ذلك المعتزلة أو التوحيد بمعنى اعتقاد وحدة الوجود والحلول كما تعتقد غلاة الصوفية، وإنما نقصد بالتوحيد ما علمنا إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى عليه سلف الأمة الصالح رضي الله عنهم ومعرفة الإله الواحد هو صلب هذا العلم، ما عرفنا الله عز وجل بنفسه، وما عرفنا به رسول صلى الله عليه وسلم وعلم التوحيد

هو أشرف العلوم؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم.

وعلم التوحيد هو علم العقيدة، والعقيدة بمعنى الإيمان، والإيمان هو التصديق الجازم بلا شك ولا ريبة، ومفهوم الإيمان أو العقيدة ينتظم ستة أصول: الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وهذه الأصول الستة هي التي أرسل الله عز وجل بها نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم وكل رسول قبله كما قال تعالى: «شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ» (الشورى:١٣).

قال ابن القيم رحمه الله: « التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى».[مدارج السالكين (٣/٤٤٣)].

ولذلك كان الموضوع الأساس في القرآن الكريم هو التوحيد، وكانت آيات القرآن تنزل في مكة المكرمة سنوات طويلة لتثبت هذه العقيدة في القلوب، والتعريف بأن الله هو الخالق سبحانه، فأقام الحجة عليهم بوجوب توحيد الله سبحانه، وإفراده بالعبادة والطاعة وأظهر عجز آلهتهم المزعومة، وأنها لا تملك ضراً ولا نفعاً وأن ما يحوط الإنسان من النعم إنما هو من عند الله.

قال تعالى:« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ»(البقرة:٢١-٢٢)

كما أن آيات القرآن الكريم حافلة بالرد على أهل الكتاب الذين نسبوا لله الولد، وغيرهم من أصناف الملحدين والمشركين، وإلزامهم الحجة بما لا يستطيعون إنكاره، من بديع صنع الله واستقامة نظام الكون وعدم اضطرابه.

قال تعالى:« لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» (الأنبياء:٢٢)

وقال سبحانه:« مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ» (المؤمنون:٩١)

القرآن وإيقاظ الفطرة

وأبرز ما ترتكز عليه آيات القرآن الكريم في تثبيت عقيدة التوحيد إيقاظ الفطرة، فالإنسان إذا انطمست فطرته وأظلم قلبه انحرف عن التوحيد، وادعى الاستغناء عن خالقه، فإذا ألمت به الشدائد وأيقن بالهلاك، لجأ إلى الله وحده وأخلص التوجه إليه بالدعاء، وأظهر افتقاره وتذلله لخالقه سبحانه، وسرعان ما ينكص على عقبيه ويبتعد عن خالقه بمجرد زوال الخطر.

قال تعالى:« هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (يونس:٢٢-٢٣)

دور المربين في التربية العقائدية

ويقول عبد الله ناصح علوان: « إن مسئولية التربية الإيمانية [يقصد بالتربية الإيمانية هنا: العقائدية] لدى المربين والآباء والأمهات لهي مسئولية مهمة وخطيرة، لكونها منبع الفضائل، ومبعث الكمالات، بل هي الركيزة الأساسية لدخول الولد في حظيرة الإيمان وقنطرة الإسلام، وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بمسئولية، ولا يتصف بأمانة ولا يعرف غاية، ولا يتحقق فيه معنى الإنسانية الفاضلة، ولا يعمل لمثل أعلى وهدف نبيل، بل يعيش عيشة البهائم، وليس له هم سوى أن يسد جوعته ويشبع غريزته وينطلق وراء الشهوات والملذات ويصاحب الأشقياء والمجرمين، وعندئذ يكون من الزمرة الكافرة، والفئة الضالة التي قال الله عنها في محكم كتابه: «وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ» (محمد:١٢)

فعلى الأب أو المربي ألا يترك فرصة سانحة تمر إلا وقد زود الولد بالبراهين التي تدل على الله، وبالإرشادات التي تثبت الإيمان وتقوي منه جانب العقيدة.

توجيهات نبوية

وهذا الأسلوب من انتهاز الفرص في النصائح الإيمانية هو أسلوب المربي الأول - صلوات الله وسلامه عليه -، حيث كان يسعى دائمًا إلى أن يوجه الأولاد إلى ما يرفع من شأنهم ويرسّخ الإيمان واليقين في أعماق نفوسهم وإليك - أخي القارئ - بعض النماذج من توجيهه وأسلوبه عليه الصلاة والسلام.

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال:« يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليه، رفعت الأقلام وجفت الصحف» [تربية الأولاد في الإسلام (١/١٦٣

- ١٦٤)، والحديث رواه أحمد (٢٦٦٤)، والترمذي (٢٥١٦) وقال: حسن صحيح].

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقي قلوب الصحابة وجوارحهم من الشرك الجلي والخفي ويربيهم على التوحيد الخالص، ويعرفهم بربهم الذي خلقهم ورزقهم حتى صار الصحابة الكرام أبر الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً.

وهذه أمثلة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تبين هذه التربية العالية لهذه الأمة الغالية.

عن أبي واقد الليثي قال: « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: «ذات أنواط»، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ » (الأعراف:١٣٨) لتركبن سنن من كان قبلكم». [رواه أحمد (٢١٣٩٠)، والترمذي (٢١٨٠ وحسنه الألباني].

وعن زيد بن خالد رضي الله عنه قال:» صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال:»هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب». [متفق عليه]

ومن ذلك ما رواه في « الصحيح» عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فأرسل رسولاً:» ألا لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت». وقال الإمام مالك:» أرى ذلك من العين».

وعن عقبة بن عامر مرفوعاً:» من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له» [رواه أحمد (١٦٩٥١)، والحاكم (٢١٦/٤) الطب. وقال:» هذا حديث صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي].

ومن ذلك ما رواه مسلم عن علي رضي الله عنه قال: « حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات:» لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والده، لعن الله من أوى محدثاً، لعن الله من غيّر منار الأرض». [رواه مسلم (١٩٧٨)]

وعن بعض أزواج النبي - رضي الله عنهن - عن النبي صلى الله عليه وسلم:»من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً». [رواه مسلم (٢٢٣٠)، دون زيادة « فصدقه « وهي عند أحمد (١٦٢٠٢، ٢٢٧١١) بسند صحيح].

كما حرم صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر، فقال صلى الله عليه وسلم:» من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» [أبو داود (٣٢٥١)، وصححه الألباني]، وقال صلى الله عليه وسلم:» لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان». [رواه أبو داود(٤٩٨٠) وأحمد (٢٢٧٥٤) وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٧)].

كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الرياء وهو من الشرك الأصغر.

فعن أبي هريرة مرفوعاً: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه». [رواه مسلم (٢٩٨٥)].

وكذا سد النبي صلى الله عليه وسلم كل الذرائع إلى الشرك، فحرم إقامة المساجد على القبور، ونهى عن اعتقاد العدوى والتطير، ونهى عن الذبح لله في مكان يُذبح فيه لغير الله، ونهى عن المبالغة في المدح، وهو الإطراء كما نهى عن التصوير.

وتعلم الصحابة رضي الله عنهم هذا التوحيد الخالص من رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا يعلّمونه من يلوذ بهم، ومن يتبعهم، فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يرى في عنق زوجته خيطاً فيقطعه، ويقول: «لقد أصبح آل عبد الله في غنى عن الشرك».

وروى وكيع عن حذيفة أنه دخل على مريض يعوده فلمس عضده فإذا فيه خيط، فقال: ما هذا؟ قال: شيء رقي لي فيه، فقطعه، وقال: لو مت وهو عليك ما صليت عليك».

ولمسلم عن أبي الهياج قال:» قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم:» ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[رواه مسلم (٩٦٩)].

نسأل الله أن يهدينا لأفضل الأخلاق والأعمال، لا يهدي لأحسنها إلا هو، وأن يمن علينا بالتوفيق والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

احذر أن تكون من هؤلاء

قال تعالى «إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا» [النساء: ١٤٢].

من دلائل النبوة

عن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة بن الأكوع، فقلت: يا أبا مسلم! ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة. [صحيح البخاري]

من أقوال السلف

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أكابرهم (يعني: العلماء الربانيين)، فإذا أتاهم (أي: العلم) من أصاغرهم (أي: من الجهال وأهل البدع) هلكوا». [الشريعة للآجري].

من حكمة الشعر

اصبر على مُرِّ الجفا من معلِّم
فإن رسوخ العلم في نفراتِهِ
فمَن لم يذق مُرَّ التعلم ساعة
تجرع كأس الجهلِ طولَ حياتِهِ
ومن فاته التعليم وقت شبابِهِ
فكَبِّر عليه أربعاً لوفاته

من غريب الحديث

لفظة (صنو): في حديث النبي عليه السلام: (إن عم الرجل صنو أبيه) [صحيح مسلم] يعني أن أصلهما واحد، فأصل الصنو إنما هو النخل في قوله تعالى: «صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ» الصنوان: المجتمع، وغير الصنوان: المفترق. وفي غير هذا الحديث: «هما النخلتان يخرجان من أصل واحد، فَشُبِّهَ الأخوان بهما». [غريب الحديث لأبي عبيدة].

من آداب طلب العلم

هيبة العلماء

قال محمد بن مسلم: «كنا نهاب أن نرد على أحمد بن حنبل في الشيء أو نُحَاجَّه في شيء من الأشياء» قلت: «وهذا لعلمه وإخلاصه» [الآداب الشرعية لابن مفلح].

إعداد:
علاء خضر

من هدي رسول الله صلى لله عليه وسلم

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصّيام والصّلاة والصّدقة؟» قالوا: بلى. قال: «صلاح ذات البين، فإنّ فساد ذات البين هي الحالقة» [سنن الترمذي وصححه الألباني].

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«ادفنوا الأظفار والدم والشعر، فإنه ميتة»، قال ابن عدي [في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال]: لعبد الله بن عبد العزيز أحاديث لم يُتابع عليها. قال أبو حاتم الرازي: أحاديثه منكرة، وليس محله الصدق عندي، وقال علي بن الحسين بن الجنيد: لا يساوي فلسًا، يحدث بأحاديث كذب» [سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني].

حكم ومواعظ

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات».

قال ميمون بن مهران: «الصبر صبران: فالصبر على المصيبة حسن، وأفضل منه الصبر عن المعصية» [تسلية أهل المصاب].

من فضائل الصحابة

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر» [سنن ابن ماجه وصححه الألباني].

الغاية من جمع المال

قال سعيد بن المسيب -وقد ترك دنانير-: «اللهم إنك تعلم أني لم أجمعها إلا لأصون بها ديني وحسبي، لا خير فيمن لا يجمع المال فيقضي دَيْنه، ويصل رحمه، ويكف به وجهه» أي عن الناس .

من دعائه صلى الله عليه وسلم ألا تكون المصيبة في الدين

عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا» [سنن الترمذي وحسنه الألباني].

أثر السياق في فهم النص



الحلقة (٤٨)

دراسات شرعية

اعتبار الـ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعد، وبعدُ:

جعل العلماء من شروط الاجتهاد والفتوى تقدير مآلات الأفعال (سلامة العاقبة عند بعض فقهاء الشافعية)، أي معرفة عواقب الحكم والفتوى، وألا يعتبر المفتي أو المجتهد أن مهمته تنحصر في إعطاء الحكم الشرعي، بل مهمته أن يحكم في الفعل وهو يستحضر مآلاته (عواقبه)، وأن يصدر الحكم وهو ناظر إلى آثاره، فإذا لم يفعل ذلك، فهو إما قاصر عن درجة الاجتهاد أو مقصِّر فيها.

يقول الشاطبي: «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا، (سواء) كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو الإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل». [الموافقات ٥/١٧٧].

فربما أدى استجلاب المصلحة في الفتوى إلى مفسدة تساوي هذه المصلحة، أو تزيد عليها، فالشارع إنما وضع الأسباب لأجل المسبَّبات (النتائج)، أي لتحصيل المصلحة أو لدرء المفسدة.

فاعتبار المآلات من أبين الأدلة على استجابة الشريعة لما يقتضيه تطور حياة الناس مما يدعم قضية عموم الشريعة وخلودها.

الأدلة الشرعية على اعتبار المآلات:

أولاً: على العموم:

فإن الأدلة الشرعية والاستقراء التام يبينان بوضوح أن المآلات معتبرة في أصل المشروعية.

يقول الشاطبي: «إن التكاليف مشروعة لمصالح العباد، ومصالح العباد إما دنيوية وإما أخروية، أما الأخروية فراجعة إلى مآل المكلف في الآخرة، ليكون من أهل النعيم لا من أهل الجحيم، وأما الدنيوية فإن الأعمال - إذا تأملتها - مقدمات لنتائج المصالح، فإنها أسباب لمسبَّبات هي مقصودة للشارع، والمسبَّبات هي مآلات الأسباب، فاعتبارها في جريان الأسباب مطلوب، وهي معنى النظر في المآلات». [الموافقات ٥/١٧٨].

والآيات كثيرة في اعتبار المآلات على الجملة، كقوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » [البقرة: ١٨٣].

وقوله تعالى: « رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » [النساء: ١٦٥]، وقوله تعالى: « كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » [البقرة: ٢١٦].

وغير ذلك من الآيات التي توجه لاعتبار المآلات.

ثانيًا: على الخصوص:

١- قال الله تعالى: « وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ » [الأنعام: ١٠٨]، فنهى الله تعالى المسلمين أن يسبوا الأصنام، حتى لا يقع الكافرون في سب الله تعالى، فعن قتادة قال: «كان المسلمون يسبون أوثان الكفار، فيردون ذلك عليهم، فنهاهم الله أن يستسبُّوا لربهم (أي يجرونهم لسب الله)، فإنهم قوم جهلة لا علم لهم بالله». [تفسير الطبري ١٢/٣٤].

يقول القرطبي في تفسير الآية: «قال العلماء: حكمها باقٍ في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في مَنَعَة وخيف أن يسبَّ الإسلام أو النبي عليه السلام أو الله عز وجل، فلا يحل لمسلم أن يسبَّ صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية». [تفسير القرطبي ٧/٦١].

ويقول السعدي: «ينهى الله المؤمنين عن أمر كان جائزًا، بل مشروعًا في الأصل، وهو سب آلهة المشركين التي اتُّخذت أوثانًا وآلهة مع الله، التي يُتقرب إلى الله بإهانتها وسبها.. ثم يقول: وفي هذه

مآلات

إعداد/ متولي البراجيلي

الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية وهي أن الوسائل تُعتبر بالأمور التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم ولو كانت جائزة تكون محرمة إذا كانت تفضي إلى الشر». [تفسير السعدي ١/٢٦٨، ٢٦٩].

٢- وفي حديث جابر رضي الله عنه: لما اعتدى رجل من المهاجرين على رجل من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟ ثم قال: دعوها فإنها منتنة.

فسمع بذلك عبد الله بن أُبي، فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأزل.

فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه. [متفق عليه].

فموجب القتل حاصل، وهو الكفر بعد النطق بالشهادتين، والسعي في إفساد حال المسلمين كافة بما كان يصنعه المنافقون، بل كانوا أضر على الإسلام من المشركين، فقتلهم درءٌ لمفسدة حياتهم، ولكن النظر إلى المآل، سيؤدي إلى عدم دخول الناس في الإسلام، وعدم الاطمئنان به، وهذا لا شك أشد ضررًا ومفسدة على الإسلام من مصلحة قتلهم.

٣- حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أُخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين، بابًا شرقيًا، وبابًا غربيًا، فبلغت به أساس إبراهيم. [متفق عليه].

فالنبي صلى الله عليه وسلم اعتبر المآل الذي قد يترتب على هدم الكعبة وإعادة بنائها من اعتقادهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يهدم مقدساتهم، لذا في رواية «الموطأ» يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ولولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم...».

قال الإمام النووي: «هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام، منها: إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة، بُدئ بالأهم ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن نقض الكعبة وردّها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم صلى الله عليه وسلم مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه، وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريبًا، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة، فيرون تغييرها عظيمًا، فتركها صلى الله عليه وسلم.

ومنها فكر ولي الأمر في مصالح رعيته، واجتنابه ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا، إلا الأمور الشرعية كأخذ الزكاة، وإقامة الحدود، ونحو ذلك.

ومنها تألف قلوب الرعية وحسن حياطتهم، وأن لا ينفروا ولا يتعرَّض لما يخاف من تغيرهم بسببه ما لم يكن فيه ترك أمر شرعي. [شرح النووي على مسلم ٩/٨٩].

٤- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أعرابيًا بال في المسجد، فقاموا إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزرموه، ثم دعا بدلو من ماء فصبَّ عليه». [متفق عليه].

ومعنى: [لا تزرموه: لا تقطعوا بوله].

قال النووي: قال العلماء: كان قوله صلى الله عليه وسلم: دعوه، لمصلحتين؛ إحداهما أنه لو قطع عليه بوله تضرر، وأصل التنجيس قد حصل، فكان احتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به.

والثانية: أن التنجيس قد حصل في جزء يسير من المسجد، فلو أقاموه الرجل في أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد. [شرح النووي على مسلم ٣/١٩١].

والصحابة رضي الله عنهم وردت عنهم آثار كثيرة من اعتبار المآلات في فتاواهم، من ذلك ما جاء في تفسير القرطبي: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: ألمن قتل مؤمنًا متعمدًا توبة؟ قال: لا، إلا النار، قال: فلما ذهب قال له جلساؤه: أهكذا كنت تفتينا؟ كنت تفتينا أن لمن قتل توبة مقبولة؟ قال: إني لأحسبه

رجلاً مغضبًا يريد أن يقتل مؤمنًا، فبعثوا في إثره فوجدوه كذلك. [تفسير القرطبي ٥/٣٣٣].

تحقيق المناط الخاص:

وهذا من اعتبار المآلات، حيث إن المناط الخاص يختلف حكمه عن المناط العام وذلك بسبب طروء عوارض، فيكون الحكم مقصورًا عليه بحسب هذه العوارض. أو ما يعبر عنه باختلاف الحكم عن الفتوى؛ إذ الحكم هو المناط العام، أما الفتوى فهي المناط الخاص الذي ينظر فيه للواقعة موضوع الفتوى من جوانبها المختلفة، وهو يختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والأمكنة.

ذلك أن تحقيق العالم لمناط الحكم، قد يكون عامًا، كتحقيقه لمعنى الفقير الذي يستحق الزكاة، وتحقيقه لمعنى الزاني المحصن، وتحقيقه لمعنى العدالة في الشهادة والرواية.

وقد يكون تحقيق المناط خاصًا أي يتعلق بشخص معين لمعرفة ما يناسبه وما ينطبق عليه من أحكام الشرع، وإلى أي حد تناسبه وتنطبق عليه.

فالاجتهاد في تحقيق هذا النوع من المناط، يحتاج إلى نوع خاص من المجتهدين، فلا يكفي أن يكون المجتهد ماهرًا بنصوص التشريع وتفصيلاته، ولكنه يتطلب مجتهدًا ماهرًا- أيضًا - بالنفوس وخفاياها وخصوصياتها، وماهرًا بالملابسات الاجتماعية، وتأثيراتها. [نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني ١/٣٥٥].

ويقول الشاطبي في المناط الخاص:

«فصاحب هذا التحقيق الخاص هو الذي رُزق نورًا يعرف به النفوس ومراميها، وتفاوت إدراكها وقوة تحملها للتكاليف، وصبرها على أعبائها، أو ضعفها، ويعرف التفاتها إلى الحظوظ العاجلة أو عدم التفاتها، فهو يحمل على كل نفس من أحكام النصوص ما يليق بها، بناء على أن هذا هو المقصود الشرعي في تلقي التكاليف». [الموافقات ٥/٢٥].

مثال ذلك: بيَّن المشرع أن الإمارة، وكفالة مال اليتيم، من أفضل الأعمال لمن قام فيهما بحق الله تعالى.

ففي الإمارة والحكم تظاهرت الأحاديث على فضل الإمارة والولاية، وأن فضلهما عظيم، مثل حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلوا. [صحيح مسلم].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل... إلخ [متفق عليه].

وغير ذلك من الأحاديث.

وفي كفالة اليتيم: وردت أيضًا الأحاديث بفضلها، من ذلك حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبَّابة والوسطى، وفرّج بينهما شيئًا». [صحيح البخاري].

ومع ورود الأحاديث وانعقاد إجماع المسلمين على فضل الإمارة والولاية وكفالة اليتيم، وهذا مناط عام (حكم عام)، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته لأبي ذر رضي الله عنه، جعل له مناطًا خاصًا يختلف عن حكم المناط العام، فعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرن على اثنين، ولا تولَّين مال يتيم. [صحيح مسلم].

فالنبي صلى الله عليه وسلم مع محبته لأبي ذر وتزكيته له، كما في حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء، من رجل أصدق لهجة من أبي ذر. [صحيح سنن ابن ماجه وغيره].

[ما أقلت الغبراء: أي ما حملت الأرض، ولا أظلت الخضراء: السماء. أصدق لهجة: أي صدقه فيما ينطق به].

يقول الإمام الذهبي: فهذا محمول على ضعف الرأي، فإنه لو ولي مال يتيم لأنفقه كلَّه في سبيل الخير، ولترك اليتيم فقيرًا، فقد ذكرنا أنه كان لا يستجيز ادخار النقدين. [سير الأعلام ٢/٧٥].

فإمارة الناس تحتاج إلى الحلم والمداراة، ولا يصلح لها كل أحد، فأبو ذر رضي الله عنه كان إمامًا في الزهد والصدق، ولكنه كان يريد أن يحمل الناس على مقتضى زهده وورعه، وغالب الناس لا يطيقون ذلك.

يقول الإمام الذهبي عن أبي ذر: وكان رأسًا في الزهد، والصدق، والعلم، والعمل، قوَّالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، على حدَّة فيه. [سير أعلام النبلاء ٢/٤٧].

ومن اعتبار المآلات: النظر في المسألة بعد وقوعها، فهو يختلف عنه قبل وقوعها:

فحالة ما بعد الوقوع ليست كحالة ما قبله؛ لأن بعده تنشأ أمور جديدة تستدعي نظرًا جديدًا.

لذا نجد بعض أهل العلم يراعي الخلاف في المسألة- بعد وقوعها- وإن كان مرجوحًا عنده، وأطلق عليها الشاطبي: «قاعدة مراعاة الخلاف». [الموافقات ٥/١٨٨].

ومن ذلك استحقاق المرأة الميراث عند الإمام مالك فيما إذا تزوجت بغير ولي، فالإمام مالك مع كونه يقول بفساد النكاح بدون ولي (وهو قول الجمهور، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له». [صحيح سنن الترمذي وغيره].

فجمهور العلماء على أنه لا تلي المرأة عقد نكاح بحال: لا نكاح نفسها، ولا امرأة غيرها. [شرح صحيح البخاري لابن بطال ٦/٤٤٦].

إلا أنه يراعي في ذلك الخلاف، عندما ينظر فيما ترتب بعد الوقوع، فيقول: إن المكلف واقع دليلاً على الجملة وإن كان مرجوحًا، ذلك أن آثار القول بالبطلان الراجح في نظره يؤدي إلى ضرر ومفسدة أقوى من مقتضى النهي على ذلك القول.

وهذا مبني على مراعاة المآل في نظر الشارع، فالمراد مراعاة الخلاف الواقع بين المجتهدين، والتعويل بعد وقوع الفعل من المكلف على قول وإن كان مرجوحًا عند المجتهد؛ لأنه لو فرَّع على القول الراجح عنده بعد وقوع الفعل، لكان فيه مفسدة تساوي وتزيد على مفسدة النهي، فينظر المجتهد في هذا المآل، ويفرع على القول الآخر المرجوح باجتهاد ونظر جديد. [مشهور بن حسن آل سلمان، هامش الموافقات ٥/١٨٨-١٨٩، بتصرف يسير].

ومما يفيد في هذا الباب ما استنبطه العلماء من حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم: إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد. [متفق عليه].

فقد دل الحديث على أن الحاكم (العالم) ينبغي أن يجتهد كلما حكم، أي كلما همَّ بالحكم، ولا يغني اجتهاده مرة عن تجديد الاجتهاد في المسائل المشابهة، لأن لكل مسألة خصوصياتها مهما تشابهت مع غيرها.

يقول القرطبي بعد ذكره لحديث: «إذا اجتهد الحاكم...»: «ويفيد هذا صحة ما قاله الأصوليون: إن المجتهد يجب عليه أن يجدّد نظرًا عند وقوع النازلة، ولا يعتمد على اجتهاده المتقدم لإمكان أن يظهر له ثانيًا خلاف ما ظهر له أولاً، اللهم إلا أن يكون ذاكرًا لأركان اجتهاده، مائلاً إليه، فلا يحتاج إلى استئناف نظر في أمارة أخرى». [تفسير القرطبي ١١/٣١١].

تنبيهات:

١- تجدر الإشارة إلى أن تجدد النظر في المسألة الواحدة، ومراعاة الخلاف بعد وقوعها، ليس هو من باب تتبع رخص العلماء، فهذا دأب أصحاب الهوى والمقلدة.

لذا لو اختار المقلد من كل مذهب ما هو الأخف والأسهل، فقد قال فيه العلماء كالإمام أحمد والمروزي وغيرهما: يفسق، وقال الأوزاعي: من أخذ بنوادر العلماء خرج عن الإسلام.

وقد نُقل عن ابن حزم الإجماع على تفسيق متتبع الرخص.

ففارق بين عالم مجتهد يعتبر المآلات والمقاصد، ويوازن بين المصالح والمفاسد، وبين جاهل متبع لهواه.

٢- تغير الفتوى واختلافها بحسب الأزمنة والأمكنة: وهذا فصل عقده ابن القيم في «إعلام الموقعين»، وتكلم فيه الكثير من الأصوليين، له ضوابط محكمة، وهو ليس من باب تغير الأحكام، فإن الحكم ثابت لا يتغير، وإنما الفتوى به حسب المقتضى الشرعي، وذلك كسهم المؤلفة قلوبهم، فالحكم ثابت وهو استحقاقهم للزكاة، ولكن الفتوى تتغير، وهي تحقيق المناط وإنزاله على الواقع، من مثل: هل يدخل هؤلاء في وصف المؤلفة أم لا؟ وهل يحتاج الإسلام الآن لتأليفهم؟ ومثل هذا.

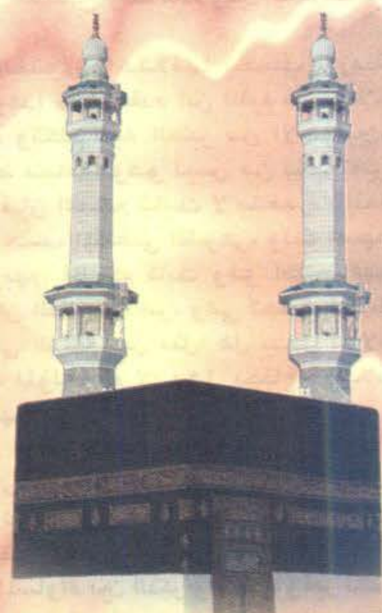
٣- يستغل بعض المفكرين المعاصرين مسألة تغير الفتوى، ويتوسع فيها عند بحث «فتح باب الاجتهاد»، فيتكلم في المسألة بذوقه، ويتكئ عليها ويجعلها حجة كمثل إباحة الربا، ووقف تنفيذ الحدود، والمساواة بين الذكر والأنثى، وغير ذلك.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

منبر الحرمين

وحدة الكلمة والحذر من الفُرقة

إعداد/ الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد
إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة



الحمد لله، الحمد لله فالق الإصباح، ومُجري السحاب ومُرسل الرياح، أحمده -سبحانه- وأشكرُهَ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة الحق والفوز والفلاح، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُ الله ورسوله أوضحَ معالمَ الهُدى وهدَى إلى طريق الصلاح، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه بإحسانٍ، ما أغطش ليلٌ وأضاءَ صباحٌ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فأوصيكم -أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله -رحمكم الله-، ومن استطاعَ منكم أن يلقَى اللهَ خفيفَ الظهر من دماء المسلمين، خميصَ البطن من أموالهم، كافَّ اللسان عن أعراضهم، لازمًا لأمر جماعتهم فليفعل.

واعلَموا أن من تركَ الحرامَ وهو قادرٌ عليه فهو الخائف، ومن جدَّ في العمل واجتنبَ الأماني فهو الراجي، ومن ركنَ إلى حوله وقوته ذل، ومن أُعجِبَ بعمله ضل، ومن اعتمدَ على ربه وركنَ إلى مولاه فما ذل ولا ضل: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ » [فاطر: ٥، ٦].

تأسيس دول الإسلام على المؤاخاة:

أيها المسلمون: أسَس نبيُّنا محمدٌ -صلى الله عليه وسلم- في المدينة النبوية المُنوَرة؛ أسَس دولةَ الإسلام -بعد توحيد الله- أسَسها على المؤاخاة، فكان المهاجرون غرباء الدار إخوة الأنصار ممن تبوَؤوا الإيمانَ والدار، وكان -عليه الصلاة والسلام- شديدَ الرعاية بهذه الأُخُوَة، عظيمَ الغيرة عليها، سريعَ المعالجة لبوادر الخروج عليها.

اختلفَ غُلامان في إحدى المغازي، فقال أحدُهما: يا للمُهاجرين! فقال الآخر: يا للأنصار! فبادرَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- قائلاً: "أبدَعوى الجاهلية وأنا بين أظهُركم؟! دعُوها فإنَّها مُنتِنةٌ". أخرجه البخاري.

مع أن لقبَ المُهاجرين ولقبَ الأنصار ألقابٌ إسلاميةٌ كريمةٌ.

وحينما ضلّ بنو إسرائيل وعبدوا العجلَ، قال موسى نبيُّ الله وكليمُه لأخيه هارون نبي الله ووزير أخيه -عليهما السلام-: «قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي» [طه: ٩٢، ٩٣]، فكان جوابُ هارون جوابًا لطيفًا رقيقًا حكيمًا: «قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي» [طه: ٩٤].

ومعاذ الله أن يُتهم نبيُّ الله هارون بانحراف المنهج، أو التقصير في الموازنات، ثم يُقرُّه أخوه موسى وهو الذي دعا ربه: «وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي» [طه: ٢٩- ٣٢]، فأجابه العليُّ الأعلى: «قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى» [طه: ٣٦].

يقول الإمام البغوي -رحمه الله-: "بعثَ الله الأنبياءَ كلَّهم بإقامة الدين، والألفة والجماعة، وترك الفُرقة والمُخالفة".

مضار تفرق الكلمة على استقرار الديار:

معاشر المسلمين: وليس أشد ضراوةً على الأمة وعلى استقرار الديار من اختلاف الكلمة، وتنافر القلوب، وتنازُع الآراء. وحدةُ الكلمة سببُ كل خيرٍ، والفُرقةُ والخلافُ سببُ كل شرٍ.

إن من كمال الدين وكياسَة العقل وسلامةَ الفهم: أن لا ينساقَ المرءُ مع من يُريد تصديعَ وحدة الأمة، لما قد يرَى من ظُلم قد وقعَ، أو حقٍ قد انتُقص؛ لأن من فقدَ بعضَ حقه في حالَة الوحدة سيفقدُ كل حقه إذا وقعت الفُرقة -معاذ الله-، ولن يأمَن -والله- على نفسه، ولا على أهله، ولا على عرضه ولا على ماله.

لنا إخوةٌ أعزَّة في بلاد مُجاورة -لطفَ الله بهم وحفظَهم، وأعانَهم على ما يُعانُون- تفرَّقت كلمتُهم، وفقدوا استقرارَهم، وانفرَط عقدُ وحدتهم؛ ففارقوا ديارَهم، وتشرَّدوا مُخلفين وراءَهم دُورَهم وأموالَهم وزروعَهم وتجاراتهم، تركُوا الغاليَ والنفيس، ينشدون الأمنَ والاستقرار، يعيشُون مُغتربين مُعدَمين.

مع التشرُّد والخوف والفُرقة لا قيمةَ للدُور ولا للقُصور ولا للأموال ولا للضياع، أتُراهم ينزَحون من ديارهم لو وجَدوا مُستقرًا وأمنًا؟!

حين فقدوا استقرارَ الدولة حلَت في ديارهم الفوضَى، وفي أجواء الفوضَى يتفرَق الجمع، ويتخاصمُ الحلفاء، ويتخندقُ الفرقاء، ومن ثمَ يُصبحُ الفشلُ مُحيطًا بالجميع، ويصيرُ العجزُ هو النتيجةَ التي يتحمَلها الجميع.

أجواء الفوضى تنتج الأمراض المجتمعية:

معاشر الأحبَة: في أجواء الفوضَى تُولَد التكتُلات، وتنبُت المُخالفات، وتلكم هي معاولُ الهدم، وقوةُ الهدم أقوَى من قوة البناء وأبلَغ وأسرع.

في الفوضَى وعدم الاستقرار تذوب المعاييرُ الضابطة، وتغيبُ السياساتُ العاقلة، وتذهلُ الآراءُ الواعية، ويكونُ التناقض هو المُسيطر، والاضطرابُ هو السائد، والضياعُ هو المُهيمن.

إن غوغائيَة الجماهير هي الطريقُ السريعُ إلى الفوضَى، ونعوذُ بالله من فتن تدعُ الحليمَ حيرانًا، فالإنسانُ في أجواء الفتن قد يظنُ أن لديه إيمانًا يعصمُه، أو عقلاً إلى رُشد يهديه، ولكن مع الفتن وبخاصَة في تقنيَات العصر الجارفة، ووسائله الطاغيَة، وتغريداته المُضطربة، لا يشعُر إلاَ وقلبُه قد تشرَبَ ما تشرَب، فإذا هو قد زُجَ في نارها، وغرِقَ في لُجَتها، وأحرقَه لهيبُها.

ونعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ألم تفقهوا توجيهَ نبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- وهو يُحذرُ من فتنة المسيح الدجَال، مع أنه قد بيَن لنا أوصافَه وذكرَ لنا علاماته بما لا يلتبسُ ولا يشتبِه، ومع هذا كله فإننا نستعيذُ بالله منه في صلواتنا كلها، وقال: "إن خرجَ وأنا فيكم فأنا حَجيجُه، وإلا فكلُ حَجيجُ نفسه". فلا حول ولا قوة إلا بالله.

لزوم الجماعة عاصم من الفتن:

معاشر المسلمين: وليس مخرجًا من الفتن إذا استحكمَت، والبلايا إذا ادلهمَت، إلا لزومُ

الجماعة، والتزامُ الطاعة، وقد قال ذلك نبيُّنا محمدٌ -صلى الله عليه وآله وسلم- لِحذيفة -رضي الله عنه-: "تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهم".

ومن أرادَ بَحبُوحَة الجنة فليلزَم الجماعة.

ولُزومُ الطاعة والتمسُّك بالجماعة ليس مُجاملةً، ولا مُمالأةً، ولا ضعفًا، ولا مُداهنةً، ولا مُعاوَضةً، ولكنه -والله- من أجل الحفاظ على الدين، وعلى الأمة، وعلى الأمن والاستقرار، وعلى الأهل والأنفس، "من رأى من أميره ما يكرَه فليصبر؛ فإن من فارقَ الجماعةَ شبرًا فماتَ ماتَ ميتةً جاهليةً". متفق عليه.

إخوتي في الله: ونحن في هذه البلاد المباركة في رحاب الحرمين الشريفين، في المملكة العربية السعودية، الدينُ هو الظاهرُ، وشرعُ الله هو المحكَم، أسبغَ الله علينا نعمَه ظاهرةً وباطنةً، صحةً في الأبدان، وأمنًا في الأوطان، غذاءً وكساءً ودواءً وصحةً وتعليمًا، تمشي على قدمَيك وقد قُطِعت أقدام، تنامُ ملء عينيك وقد أطارَ الخوفُ والهلَعُ النومَ عن أقوامٍ كثيرين، أمنٌ وافرٌ، وعافيةٌ سابغةٌ وقد نغّصَ الألمُ والخوفُ المشرَدين.

بلادٌ آمنةٌ مُستقرَةٌ يفدُ إليها الوافدون، ويرغبُ إليها الراغبون، يبذُلون الغاليَ والنفيس لسُكناها والعيش فيها ابتغاءَ ظل أمنها الوارف، وعيشها الكريم.

استقرار الدول ضرورة مجتمعية:

لماذا يتفكَرُ الغافلون في المفقود ولا يشكُرون الموجود؟! لا بُدَ من الحفاظ على هيبَة الدولة وهيبَة الحكم وهيبَة الأنظمة.

ولا يكونُ استقرارُ الدولة وأمنُ الأمة إلا بالحفاظ على الهيبَة حِفظًا للدين والدنيا، والأنفس والأموال، والاقتصاد والإعمار، والصحة والتعليم، وكل المناطق والخدمات.

يجبُ استصحابُ حفظ الدولة، ووحدة الأمة في أي تحرُّكٍ أو نظرٍ أو تفكيرٍ أو مُطالَبةٍ، وما أجدرَ الغيورين على وحدة الأمة ومصالحها واستقرارها أن يُمسكوا عن كثير من ألوان الجدَل واللَغط الذي تَموجُ به الساحة.

إن كثيرًا من مواطن الخلاف ينشأُ من مُجانبَة الاعتدال، فيرَى المُنتقِد أنه ما دام على الحق فهذا يُسوغُ له أن يقولَ ما يشاء وأن يفعل ما يشاء ومتى شاء وكيف شاء. وتلكم هي الغفلةُ القاتلة.

وكثيرٌ من مواطن النزاع مبدؤُها خطأٌ يسيرٌ، أو تقصيرٌ محدود، فيُغذيه الهوَى، وينفخُ فيه الغلُوُ، ناهيكم بمن يعتقدُ التلازُم بين الغلظة على من أخطأَ والحميَة على الدين. وتغليطُ الكبار لا ينبغي أن يُجاهرَ به الأغمار.

معاشر الأحبَة: إن مما يُدعَى إليه طلبةُ العلم، وأهلُ الفضل والصلاح، وأصحابُ الرأي والنظر المُقتدَى بهم يُدعَون أن يكونوا قدوةً لطلابهم وأتباعهم في الحِرص على وحدة الأمةَ وهيبَة الدولة؛ بل أن يكونوا قدوةً في التنازُل عن بعض حقوقهم الشخصية من أجل هذا الهدف السامي العظيم.

والمسؤوليةُ مُشتركةٌ -حكومةً وإعلامًا وشعبًا- في التعاوُن وسلوك سبيل المؤمنين، وهدي الشرع، ورعاية الأنظمة، وتحقيق العدل، والرحمة والإحسان والحزم.

وبعد -حفظكم الله-: فليُعلَم أن الناصحَ مسؤوليَتُه تقديمُ النصيحة المُخلصة والرأي النَصُوح، وصاحبُ القرار له آليَته في صُنع القرار واتخاذه.

وأهلُ العلم والرأي والناصحون تختلفُ وجهاتُ نظرهم وآراؤهم، وكلُهم مُجتهدون ناصحون مُخلصون، وصاحبُ القرار يستمعُ من الجميع، ويتفهَمُ ما يتقدَمُ به الجميع، ويتَخذُ ما يراهُ مُحققًا للمصلحة، وحافظًا للدولة، وخادمًا للأمة.

والناصحُ وذو الرأي وصاحبُ القرار كلُهم غيرُ معصُومين، وإذا علمَ الله منهم صحَة الديانة، وصدقَ النيَة والإخلاص سدَدَهم ووفقهم وهداهم للتي هي أقوم، وأثابَهم على خطئهم وعلى صوابِهم.

فمسؤوليةُ الجميع الصدق والنصح وبذلُ الجهد قدر المستطاع، أما الصوابُ فيهدي إليه الله من يشاء، وهو يهدي من يشاءُ إلى صراط مُستقيم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » [الأنفال: ٢٤- ٢٦].

واجبات الدولة إزاء حقوق الناس وحرياتهم:

حقُ الناس مكفولٌ في التعبير، والمطالبةُ بالحقوق وإزالةُ المنكرات والمفاسد ورفع الظلم، وإيصال الحقوق إلى أهلها كل ذلك مكفول من غير منة بضوابطه وبالطرق المشروعة والنظامية، وبما يحفظُ البلدَ وأمنه وأهله وهيبته ووحدته، وبما يمنعُ تدخلَ أهل الفضول والأغراض والأغراب.

وعلى الدولة العناية بحفظ حقوق الناس وحرماتهم في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وكرامتهم، في شفافية ورحمة وعدل وإحسان، يُحاسَبُ الكبير كما يُحاسَبُ الصغير، ويُجازَى الرئيسُ كما يُجازَى المرؤوس، وليس أحدٌ فوق الخطأ أو النقد أو المحاسبة أو المساءلة، مع إصدار الأحكام العادلة بما يقتضيه نظرُ الشرع الشريف المطهر. والعدلُ هو سبيلُ الأمن وقاعدتُه وبوابتُه.

وبعد: وفي أجواء هذه الوحدة المتماسكة التي تعيشها بلادُنا ومُقدساتُنا، والأمن الوارف، والعيش الكريم للمواطن والمقيم والوافد، يظهرُ من يبيعُ نفسَه ضدَ أهله ووطنه، يُريد أن يُنغصَ عليهم أمنَهم، ويُكدرَ صفاءَ عيشهم، سالكًا أحقرَ المسالك؛ ليكونَ صنيعةً وضيعةً بيدِ من يُريد بأهله وبلده شرًا.

أهكذا ترخصُ المقدسات والديار والأهلُ والعشيرةُ؟! ليمتهنَ هذا المخذولُ التجسُسَ والتلصُص على أهله وعشيرته وداره لمصلحة عدو مُتربص.

هل يُتصورُ مُخلصٌ مهما كان نقدُه، ومهما كانت مطالبُه، هل يُتصورُ أن يمُدَ يدَه إلى يد عدو يُريدُ الشرَ والأذى بوطنه!!

إنهُ الدرسُ البليغُ الذي يزيدُ المُخلصين يقظةً وجدًا في رص الصُفوف والمصلحة العُليا، لحفظ الدين، والأهل، والبلاد، والمقدسات، ضدَ كل الأعداء والعُملاء.

ثم تبقَى سياسةُ هذه البلاد وإدراتُها على يقظتها وكفاءتها وحكمتها وحَزمها ومسارها الهادئ الرَصين، فلله الحمدُ والمنة.

ألا فاتقوا الله -رحمكم الله-، واعتصموا بحبل الله جميعًا، وكونُوا عبادَ الله إخوانًا، وانصَحوا وأخلصُوا لدينكم ولأنفسكم ولأوطانكم ولوُلاة أموركم.

ثم صَلُوا وسلموا على الرحمة المُهداة، والنعمة المُسداة: نبيكم محمد رسول الله؛ فقد أمركم بذلك ربُكم في محكم تنزيله، فقال -وهو الصادقُ في قيله- قولاً كريمًا: « إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا » [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد الحبيب المصطفى، والنبي المُجتبى، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وارضَ اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن الصحابة أجمعين، والتابعين ومن تبعَهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَا معهم بعفوك وجُودك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعزَ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَ الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واخذُل الطغاة والملاحدة وسائر أعداء الملة والدين.

اللهم آمنا في أوطاننا، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتَنا وولاة أمورنا، واجعل اللهم ولايتَنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك يا رب العالمين.

باب الفقه

الاستفتاح والاستعاذة

الحلقة الرابعة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعد، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، ونتناول في هذا العدد الحديث عن دعاء الاستفتاح والاستعاذة في الصلاة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

دعاء الاستفتاح:

وهو الذكر الذي تبدأ به الصلاة بعد التكبير، وإنما سمي بذلك لأنه أول ما يقوله المصلي بعد التكبير فهو يفتتح صلاته، أي يبدؤها به.(حاشية القيلوبي١/ ١٤٦).

حكم دعاء الاستفتاح:

بعض أهل العلم قالوا بالوجوب وهي رواية عن الإمام أحمد وأدلة هذا القول: حديث المسيء صلاته، عن رواية رفاعة ومنه: (إنه لا تتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ فيبلغ الوضوء " يعني مواضعه "، ثم يكبر ويحمد الله عز وجل ويثني عليه) (أحاديث الاستفتاح رواية ودراية د: عبد الرحمن بن عبد الكريم الزيد ٥/١)، قال الصنعاني: (يشعر بأن المراد بقوله يحمده غير القراءة وهو دعاء الافتتاح فيؤخذ منه وجوب مطلق الحمد والثناء بعد تكبيرة الإحرام). (سبل السلام ٢/ ٢١٠).

القول الثاني:الاستفتاح سنة. وهو قول جمهور أهل العلم لحديث أبي هريرة قال: «كان النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إذا كَبَّرَ للصَّلاة سَكَتَ هُنَيَّةً، فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: أقول: (اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد) وكان يقوله في الفرض. فقد ثبت قطعاً أن الصحابة لم يعلموا ما الذي يقول، فلو كان هذا الدعاء حتماً كالفاتحة لألزمهم به وعلمهم إياه. (شرح زاد المستقنع للشنقيطي ٢/ ٨٩).

القول الثالث: الاستفتاح غير مشروع في الصلاة، وإنما على المصلي أن يكبر ثم يقرأ فاتحة الكتاب. وهو قول الإمام مالك، واستدل بحديث عائشة قالت: (كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين...) الحديث. واستدل أيضاً بعمل أهل المدينة كما ذكر ذلك ابن بطال في شرح البخاري، واستدلوا أيضاً بحديث أنس. قال: (كان النبي – صلى الله عليه وسلم – وأبو بكر يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين. (أحاديث الاستفتاح رواية ودراية د: عبد الرحمن بن عبد الكريم الزيد ١/ ٥).

والراجح هو القول الثاني (قول الجمهور) لقوة أدلتهم حتى إنَّ ابن جرير الطبري وابن تيمية نقلا الإجماع على استحباب دعاء الاستفتاح، وأما جواب الجمهور على الإمام مالك: فالحديث الذي استدلوا به من حديث عائشة فهي روت ثلاثة أحاديث من أدعية الاستفتاح فيحمل على أن المراد افتتاح القراءة الجهرية، وهذا مثل قول أنس الوارد عنه نحو قولها.

والاستفتاح يُسَرّ به ولا يُجْهَر. قال ابن قدامة: وحديث أنس أراد به الاستفتاح في القراءة (المصدر السابق ١/ ٦).

ودليل الإسرار قول أبي هريرة: (سكت هنيهة)، فلم يكن يسمعه، وإلا لم يحتج إلى سؤاله. وإنما كان عمر يجهر به للتعليم، فحيث كان ذلك بأن يكون الناس محتاجين إلى تعليم فلا بأس به فهو فعل عمر. (شرح زاد المستقنع للشيخ لحمد ٢٤/ ٣٢).

قال شيخ الإسلام: " لا نزاع بين أهل العلم بالحديث: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يجهر بالاستفتاح " (مجموع الفتاوى ٢٢/ ٢٤٧، ٢٧٥).

صيغ دعاء الاستفتاح:

وكان صلى الله عليه وسلم يستفتح القراءة بأدعية كثيرة متنوعة يحمد الله تعالى فيها ويمجِّده، ويثني عليه، وقد أمر بذلك، وكان يقرأ

إعداد/ د. حمدي طه

تارة بهذا وتارة بهذا، فمن هذه الأدعية:
١ - حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق (رواه البخاري ومسلم) وكان يقوله في الفرض.
٢ - حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا [مسلمًا] وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت [سبحانك وبحمدك] أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنبي جميعًا؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك [والمهدي من هديت] أنا بك وإليك [لا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك] تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك) (رواه مسلم)، وكان يقوله في الفرض والنفل.
٣ - حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استفتح الصلاة قال: (سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك) (رواه أبو داود)، وكان عُمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يستفتحُ به، وعُمرُ أحدُ الخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباعهم.
هذه أنواع من الاستفتاحات، وبقيت أنواعٌ أُخرى بعضُها في صلاة الليل خاصَّة، فليُرجع إليها في المطوَّلات. ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة في أنواع الاستفتاحات «انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢٢/٣٧٦ . ٤٠٣).

مسألة مهمة:

العلماءُ اختلفوا في العبادات الواردة على وجوه متنوِّعة، هل الأفضل الاقتصار على واحدة منها، أو الأفضل فعْلُ جميعها في أوقات شتَّى، أو الأفضل أنْ يجمعَ بين ما يمكن جَمْعُه؟
والصَّحيح: القول الثاني الوسط، وهو أن العبادات الواردة على وجوهٍ متنوِّعة تُفعل مرَّة على وجه، ومرَّة على الوجه الآخر، فأدعية الاستفتاح متنوعة؛ وكُلها سُنَّة، والأفضل أن تَفعلَ هذا مرَّة، وهذا مرَّة؛ ليتحقَّقَ فعْلُ السُّنَّة على الوجهين، ولبقاء السُّنَّة حيَّة؛ لأنك لو أخذتَ بوجه، وتركت الآخر مات الوجهُ الآخر، فلا يُمكن أن تبقى السُّنَّةُ حيَّة إلا إذا كُنَّا نعمل بهذا مرَّة، وبهذا مرَّة، ولأن الإنسان إذا عَملَ بهذا مرَّة، وبهذا مرَّة صار قلبُه حاضراً عند أداء السُّنَّة، بخلاف ما إذا اعتاد الشيء دائماً فإنه يكون فاعلاً له كفعل الآلة عادة، وهذا شيء مشاهد. (الشرح الممتع لابن عثيمين ٣/٢٦).

وفي فعل العبادات الواردة على وجوه متنوعة فوائد:

١ . اتِّباعُ السُّنَّة.
٢ . إحياءُ السُّنَّة.
٣ . حضورُ القلب.
وربما يكون هناك فائدة رابعة: إذا كانت إحدى الصِّفات أقصرَ من الأخرى، كما في الذِّكر بعد الصَّلاة؛ فإن الإنسان أحياناً يحبُّ أن يُسرعَ في الانصراف؛ فيقتصر على «سبحان الله» عشر مرات، و«الحمد لله» عشر مرات، و«الله أكبر» عشر مرات، فيكون هنا فاعلاً للسُّنَّة قاضياً لحاجته، ولا حَرَجَ على الإنسان أن يفعل ذلك مع قصد الحاجة. (الشرح الممتع لابن عثيمين ٣/٣٩).

الاستعاذة:

ونتناولها في النقاط التالية:
الاستعاذة هي طلب العوذ، ومعناها: ألتجئ وأعتصم بالله عز وجل نعم المولى ونعم النصير؛ لأنه سبحانه وتعالى هو الملاذُ وهو المعاذُ، فما الفَرْق بين المعاذ والملاذ؟ قال العلماء: الفَرْق بينهما: أن اللياذ لطلب الخير، والعياذ للفرار من الشرِّ. (الشرح الممتع لابن عثيمين ٣/٣٨).
قال ملا علي القاري رحمه الله تعالى: " يعني: اللهم احفظني من وسوسته وإغوائه وخطواته وخطراته وتسويله وإضلاله، فإنه السبب في الضلالة والباعث على الغواية والجهالة " ا.هـ [مرقاة المفاتيح ٢/٤٤٨].
ولذلك شرع الله هذه الاستعاذة عند قراءة كتابه العزيز، فقال: «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» [النحل:٩٨]، فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم -وأمره أمرٌ لأمته حتى يدل الدليل على الخصوص- أنه إذا استفتح قراءة القرآن أن يستفتحها بالاستعاذة. [شرح زاد المستقنع للشنقيطي ١/٤٩٨].

فائدة الاستعاذة:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " فإن الاستعاذة به ترجع إلى معنى الكلام قبلها مع تضمنها فائدة

شريفة، وهي كمال التوحيد وأن الذي يستعيذ به العائذ ويهرب منه إنما هو فعل الله ومشيئته وقدره فهو وحده المنفرد بالحكم (طريق الهجرتين ٤٣١/١).

وقال البجيرمي رحمه الله تعالى: "ومن لطائف الاستعاذة أن قوله: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) إقرار من العبد بالعجز والضعف، واعتراف من العبد بقدرة الباري عز وجل، وأنه الغني القادر على رفع جميع المضرات والآفات، واعتراف العبد أيضاً بأن الشيطان عدوّ مبين. ففي الاستعاذة التجاء إلى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغويّ الفاجر وأنه لا يقدر على دفعه عن العبد إلا الله تعالى" ا.هـ [تحفة الحبيب ٨٩٣/١].

ليكون الشيطانُ بعيداً عن قلب المرء، وهو يتلو كتابَ الله حتى يحصُل له بذلك تدبّرُ القرآن وتفهّمُ معانيه، والانتفاعُ به؛ لأن هناك فَرْقاً بين أن تقرأ القرآنَ وقلبُك حاضرٌ، وبين أن تقرأ وقلبُك لاهٍ. إذا قرأته وقلبُك حاضرٌ حصل لك من معرفة المعاني والانتفاع بالقرآن ما لم يحصُلْ لك إذا قرأته وأنت غافل، وجَرِّبْ تجدْ. فلهذا شُرع تقديمُ الاستعاذة على القراءة في الصّلاة وخارج الصلاة. [الشرح الممتع لابن عثيمين ٣/ ٣٩].

حكم الاستعاذة قبل القراءة:

جمهور أهل العلم: أنها سنة، وهي عندهم سُنة في القراءة مطلقاً في الصلاة وغيرها. قال الإمام الشافعي: يستحب التعوذ في كل صلاة فريضة أو نافلة أو منذورة لكل مصل، من إمام ومأموم، ومنفرد ورجل وامرأة، وصبي، وحاضر ومسافر، وقائم وقاعد، ومحارب إلا المسبوق الذي يخاف فوت بعض الفاتحة لو اشتغل به فيتركه. (المجموع، محيي الدين النووي٣/٢٧٠).

وقال المالكية: يُكره التعوذ لحديث أنس: «أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين» وردّ ذلك بقَوْل اللَّه تَعَالَى: « فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ »[النحل:٩٨]، وبما ثبت عن أبي سَعيد الخُدْرِيّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ اسْتَفْتَحَ ثُمَّ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ) (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ).

قال الشوكاني: وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ التَّعَوُّذِ مِنْ الشَّيْطَانِ بِمَا ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ، وَفِيهِ رَدٌّ لِمَا ذَهَبَ إلَيْهِ مَالِكٌ مِنْ عَدَمِ اسْتِحْبَابِ الِافْتِتَاحِ بِشَيْءٍ، وَقَدْ عَرَفْتَ التصريح بِأَنَّهُ بَعْدَ التَّكْبِيرِ [نيل الأوطار ٢/ ٣٢٥].

وعن الإمام أحمد واختاره طائفة من كبار أصحابه المتقدمين وهو مذهب الظاهرية ومذهب عطاء: أنها واجبة؛ لقوله تعالى: « فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ » [النحل:٩٨]، وظاهر الأمر الوجوب. [شرح زاد المستقنع للحمد ٢٤/ ٣٤].

والأرجح ما ذهب إليه الجمهور ودليل ذلك حديث " المسيء صلاته " فالآية وإن كان ظاهرها يفيد الوجوب فقد سبق وقررنا أن هذا الحديث أصل في الواجبات، وأن ما لا يُذكر فيه دليل على عدم وجوبه.

صفة الاستعاذة:

الكلام عليها من وجهين:

الأول: هل تُقرأ سرًا أم جهرًا؟ قال العلماء: تكون سرًّا، وَيَتَعَوَّذُ الْمُصَلِّي فِي نَفْسِهِ إمَامًا كَانَ أَوْ مُنْفَرِدًا ؛ لِأَنَّ الْجَهْرَ بِالتَّعَوُّذِ لَمْ يُنْقَلْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ كَانَ يَجْهَرُ بِهِ لَنُقِلَ نَقْلًا مُسْتَفِيضًا، وَالَّذِي رُوِيَ عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - أَنَّهُ جَهَرَ بِالتَّعَوُّذِ تَأْوِيلُهُ أَنَّهُ كَانَ وَقَعَ اتِّفَاقًا لَا قَصْدًا أَوْ قَصَدَ تَعْلِيمَ السَّامِعِينَ أَنَّ الْمُصَلِّيَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَوَّذَ كَمَا نُقِلَ عَنْهُ الْجَهْرُ بِثَنَاءِ الِافْتِتَاحِ [المبسوط للسرخسي٣٧/١].

الثاني صيغة الاستعاذة:

قال النووي: قال الشافعي في الأم وأصحابنا: يحصل التعوذ بكل ما اشتمل على الاستعاذة بالله من الشيطان، قال الأكثرون: لكن أفضله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ لقول الله تعالى (فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ) [النحل:٩٨]، قال صاحب الحاوي وبعده في الفضيلة أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم؛ لقول الله تعالى: (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم)، وَلِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» والآية التي أخذنا بها أقرب إلى صفة الاستعاذة وكانت أولى؛ وذلك لأن الله أمر بها وحدّدها في افتتاح كتابه، والمعيّن أفضل من غير المعين، فيعتبر تعيينها دليلاً على فضلها، وأما حديث أبي سعيد رضي الله عنه فسبق أنه ضعيف (المجموع - محيي الدين النووي بتصرف ٢/ ٣٢٣).

قلت: ما ذكره الإمام النووي حسن، إلا أن هذا الكلام غير مسلم؛ لأن حديث أبي سعيد رضي الله عنه والذي فيه «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرَّجيم؛ من همزه ونفخه ونفثه» صححه غير واحد من أهل العلم، وقدْ ذَكرَ ابْنُ مَاجَهْ تَفْسِيرَ هَذِه الثَّلَاثَة عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ فَقَالَ: نَفْثُهُ الشِّعْرُ، وَنَفْخُهُ الْكبْرُ، وَهَمْزَهُ الْمُوتَةُ بِسُكُون الْوَاوِ بِدُونِ هَمْزٍ وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْجُنُونُ، وَكَذَا فَسَّرَهُ بِهَذَا أَبُو دَاوُد فِي سُنَنِه. [نيل الأوطار ٢/ ٢١٣].

قال ابن قدامة: وَهَذَا كُلُّهُ وَاسِعٌ، وَكَيْفَمَا اسْتَعَاذَ فَهُوَ حَسَنٌ، لَا أَعْلَمُ فيه خِلَافًا. [المغني ٣/ ٣٣٥].

ولا شك أن الوارد أولى من غيره؛ لأن القاعدة -كما قرر العز بن عبد السلام وغيره- تقول: (إذا وردت ألفاظ للأذكار منها وارد ومنها مقتبس من الوارد، فالوارد أفضل من غيره -أعني: المقتبس-. [شرح زاد المستقنع للشنقيطي ١/ ٤٩٩].

محل الاستعاذة:

وأما محلها فقال الجمهور هو قبل القراءة، وقال أبو هريرة وابن سيرين والنخعي: يتعوذ بعد القراءة، وكان أبو هريرة يتعوذ بعد فراغ الفاتحة؛ لظاهر الآية « فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ »[النحل:٩٨]، لأَنَّ الْفَاءَ لِلتَّعْقِيبِ، ورد الجمهور بِأَنَّ الَّذِينَ نَقَلُوا صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَقَلُوا تَعَوُّذَهُ بَعْدَ الثَّنَاءِ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، وَلِأَنَّ التَّعَوُّذَ شُرِعَ صِيَانَةً لِلْقِرَاءَةِ عَنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، وَمَعْنَى الصِّيَانَةِ إنَّمَا يُحْتَاجُ إلَيْهِ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ لَا بَعْدَهَا، وَالْإِرَادَةُ مُضْمَرَةٌ فِي الْآيَةِ مَعْنَاهُ، فَإِذَا أَرَدْت قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ فَاسْتَعِذْ بِاَللَّهِ، كَذَا قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إذَا قُمْتُمْ إلَى الصَّلَاةِ» أَيْ: إذَا أَرَدْتُمْ الْقِيَامَ إلَيْهَا، وهو اللائق السابق إلى الفهم (المجموع للنووي ٣/ ٢٧٣، المبسوط للسرخسي ١/ ٣٧).

مسألة: هل التعوذ يكون في الركعة الأولى فقط أم يتكرر في كل ركعة؟!

قال الحنفية وهو المشهور عند الحنابلة: يتعوذ في الركعة الأولى فقط؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ وَاحِدَةٌ، فَكَمَا لَا يُؤْتَى لَهَا إلَّا بِتَحْرِيمَةٍ وَاحِدَةٍ، فَكَذَا التَّعَوُّذُ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ. [المبسوط ١/ ٣٧].

وقال الشافعية ورواية عن الإمام أحمد: يُسن التعوذ سراً في أول كل ركعة قبل القراءة، ذلك لقوله تعالى: « فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ » [النحل:٩٨]، وظاهر الآية أنه يُشرع له كلما قرأ أن يستعيذ، وكل ركعة لها قراءتها، فإن بين الركعات فواصل من ركوع وسجود وقيام ونحو ذلك، وذكر ونحوه. بخلاف سجدة التلاوة، فإن سجدة التلاوة التي تخلل الصلاة من متعلقات القراءة فهي سجدة للقراءة، أما هذا السجود وهذا القيام والركوع في الصلاة فهي منفصلة عنها، فالقراءة ركن، كما أن ما تقدم ذكره أركان من أركانها، فليست بمتصلة فيها إلا حديث أنها من الصلاة، ففرق بينهما. [شرح زاد المستقنع للحمد ٢٤/ ٣٤].

قال الشوكاني: الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي التَّعَوُّذِ لَيْسَ فِيهَا إلَّا أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى، وَقَدْ ذَهَبَ الْحَسَنُ وَعَطَاءٌ وَإِبْرَاهِيمُ إلَى اسْتِحْبَابِهِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَاسْتَدَلُّوا بِعُمُومِ قَوْله تَعَالَى: « فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ » [النحل:٩٨]، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الِاسْتِعَاذَةِ قَبْلَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَهِيَ أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْقَارِئُ خَارِجَ الصَّلَاةِ أَوْ دَاخِلَهَا. وَأَحَادِيثُ النَّهْيِ عَنْ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ تَدُلُّ عَلَى الْمَنْعِ مِنْهُ حَالَ الصَّلَاةِ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بَيْنَ الِاسْتِعَاذَةِ وَغَيْرِهَا مِمَّا لَمْ يَرِدْ بِهِ دَلِيلٌ يَخُصُّهُ وَلَا وَقَعَ الْإِذْنُ بِجِنْسِهِ، فَالْأَحْوَطُ الِاقْتِصَارُ عَلَى مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ، وَهُوَ الِاسْتِعَاذَةُ قَبْلَ قِرَاءَةِ الرَّكْعَةِ الْأُولَى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا نَهَضَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ افْتَتَحَ الْقِرَاءَةَ بِـ«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» وَلَمْ يَسْكُتْ) (رَوَاهُ مُسْلِمٌ). وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ مَشْرُوعِيَّةِ السَّكْتَةِ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، وَكَذَلِكَ عَدَم مَشْرُوعِيَّةِ التَّعَوُّذِ فِيهَا وَحُكْمُ مَا بَعْدَهَا مِنْ الرَّكَعَاتِ حُكْمُهَا، فَتَكُونُ السَّكْتَةُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ مُخْتَصَّةً بِالرَّكْعَةِ الْأُولَى، وَكَذَلِكَ التَّعَوُّذُ قَبْلَهَا. [نيل الأوطار ٢/ ٣٢٦].

ولو تركه - أي التعوذ - في الأولى عمدًا أو سهوًا استحب في الثانية بلا خلاف، سواء قلنا يختص بالأولى أم لا، بخلاف ما لو ترك دعاء الاستفتاح في الأولى لا يأتي به فيما بعدها بلا خلاف، قال أصحابنا والفرق أن الاستفتاح مشروع في أول الصلاة وقد فات، فصار كالفراغ من الصلاة، وأما التعوذ فمشروع في أول القراءة والركعة الثانية، وما بعدها فيها قراءة. (المجموع - محيي الدين النووي ٣/ ٢٧٤). إلى هنا انتهى الحديث عن الاستفتاح والاستعاذة.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



دروس مهمة لدعاة الأمة

إعداد / جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن تبع هداه، وبعدُ:

خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس في أماكنهم

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته الناس إلى ربهم يكتفي بلقائهم في المسجد، في البيت، ولم ينتظر أن يأتيه من يريد سماعه والتعرف على ما يقول ويدعو، لكنه عليه الصلاة والسلام كان يبادر بنفسه ودعوته إلى محلات الناس وأماكن تواجدهم وعملهم وإقامتهم، فبعد أن نفَّذ أمر ربه إليه الذي قال له فيه: « وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ » [الشعراء: ٢١٤]، فدعاهم وأنذرهم، واستجاب له من استجاب، وعاداه من عاداه، ومنهم من وقف وسطًا بين هذا وذاك، فسالم النبي ولم يُسْلم ولم يعاده، بعدها أجمع النبي صلى الله عليه وسلم التوجه إلى قبائل العرب وخاصة في المواسم، من ذلك ما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٣٥)، وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على الناس بالموقف (أي في عرفة)، فيقول صلى الله عليه وسلم: «هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل؟ فأتاه رجل من همدان، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: فمن أنت؟ قال: من همدان، قال: فهل عند قومك من منعة (أي قوة يمنعون بها الناس من عداوتي)؟ قال: نعم، ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه (يخذله) فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عام قابل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعم، فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب». انتهى.

وفي هذا الخبر نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو سيد البشر وإمام الدعاة وهادي الناس بإذن ربهم إلى صراط الله، ينتقل بين أحياء العرب يدعوهم إلى الإسلام، ولا يمنعه صدهم وشدتهم وجفاؤهم وسخريتهم من أن يواصل دعوته إياهم عامًا بعد عام، يركز في دعوته هذه على هدفه الأعلى وهو توحيد الله تعالى وإفراده بالعباد، إذ إن المشركين ينشطون كثيرًا في تقديس آلهتهم ومعالم انحرافهم مستميتين في سبيل ذلك خاصة وأنهم يعتبرون أن سيادتهم وبقاءهم مرهون ببقاء هذه الآلهة.

فليحرص الدعاة خلف نبيهم صلى الله عليه وسلم على أن ينشروا دعوة التوحيد وإبراز

فساد معتقد أهل الشرك، ملتزمين في ذلك عفة اللسان وحسن الخلق: « ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ » [النحل: ١٢٥]، ولا يغير سوءُ سلوك المخالفين وانحرافهم من المنهج الحكيم في الدعوة.

منهج الدعوة الحق – البحث عن مدخل إلى قلوب الناس

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حليمًا في دعوته، حكيمًا في معاملته للناس، يحب الحلم والأناة ويثني على من يتخلق بهما، فكان صلى الله عليه وسلم يحاول الوصول إلى قلوب الناس من الجانب الذي يرى الدخول منه مؤثرًا على الناس محل دعوته، من غير أن ينطق بباطل أو يقول زورًا، أو يسلك سلوكًا مأزورًا.

ومن أمثلة ذلك في دعوته صلى الله عليه وسلم ما أورده ابن هشام رحمه الله في سيرته (٣٨/٢) من حديث محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى قبيلة كلب في منازلهم (يعني عند الموسم) إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله، فدعاهم إلى الله تعالى، وعرض عليهم نفسه، حتى إنه ليقول لهم: يا بني عبد الله، إن الله تعالى قد أحسن اسم أبيكم. فانظر أيها الداعية ؛ ماذا عسى أن ينفع هذا الاسم الجميل إذا كان حامله كافرًا، لكنه صلى الله عليه وسلم يلتمس مدخلاً يدخل به إلى نفوس هؤلاء المدعوين، فيخاطب الناس بما يحبون من غير نفاق ولا كذب ولا فعل باطل، وهذا من أساليب التودد إلى الناس للدخول إلى قلوبهم والتأثير عليهم، صلى عليك الله يا علم الهدى.

الحسد يُعمي ويصم:

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة (٢٠٧/٢) وسكت عنه الذهبي وابن كثير، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: إن أول يوم عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم أني كنت أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهل: يا أبا الحكم ؛ هلم إلى الله عز وجل وإلى رسوله، أدعوك إلى الله، قال أبو جهل: يا محمد، هل أنت منته عن سبِّ آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلَّغت؟ فنحن نشهد أن قد بلَّغت، فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حقٌ ما اتبعتك. فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال المغيرة: وأقبل عليَّ أبو جهل فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن بني قصي (أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم) قالوا: فينا الحجابة (خدمة الحجيج)، فقلنا: نعم، فقالوا: فينا الندوة (مجالس القوم)، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا اللواء، فقلنا: نعم، فقالوا: فينا السقاية (للحجيج) فقلنا: نعم، ثم أطعموا وأطعمنا، حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي، والله لا أفعل.

ففي هذا الخبر بيان لما كان يتمتع به رسول الله صلى الله عليه وسلم من حُسن العرض، والحكمة في الدعوة، حيث يخاطب الناس بأسلوب رقيق حسن، فهو يخاطب أبا جهل بكنتيه: «يا أبا الحكم»، وكما هو معروف عند العرب أن النداء بالكنية فيه تكريم، فضلاً عن أن النبي صلى الله عليه وسلم إذ يخاطبه بالكنية تناسى سوابقه ومواقفه السيئة من الدعوة إلى الله عز وجل.

درس رائع للدعاة

وهنا درس رائع للدعاة إلى الله تعالى في ضبط النفس، ومحاولة التودد إلى الناس من أجل الإسلام، وإن سبقت منهم مواقف مؤلمة في السب والشتم والتهكم والصد عن سبيل الله تعالى، وفي خبر أبي جهل وإسراره إلى المغيرة بن شعبة بأنه يعلم أن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم حق، شهادةٌ للإسلام العظيم بأنه دين الحق.

وقد رأينا مثل هذا السلوك العظيم من نبينا صلى الله عليه وسلم والذي كان سببًا في إسلام خالد بن الوليد، يقول خالد بن الوليد: لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام، فقلت: قد شهدت المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم فليس في موطنٍ أشهده إلا انصرف وأنا أرى في نفسي أني مُوضع في غير شيء وأن محمدًا سيظهر.. إلى أن قال: وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضية فطلبني فلم يجدني فكتب إليَّ كتابًا فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعدُ: فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلك عقلك، ومثل الإسلام يجهله أحد؟ وقد سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك وقال: أين خالد؟ فقلت: يأتي الله به، فقال صلى الله عليه وسلم: مثله يجهل الإسلام؟! ولو كان جعل نكايته وجدَّه مع المسلمين على المشركين كان خيرًا له، ولقدمناه على غيره.

فاستدرك يا أخي ما فاتك، فقد فاتتك مواطن صالحة.

قال خالد: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام، وسرني سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عني. [البداية والنهاية ٢٧٢/٤].

في هذا الخبر يُرى سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن خالد، فسأل عنه أخاه الوليد، وقد بلَّغه

الوليد بسؤال النبي صلى الله عليه وسلم عنه، وتزكية النبي صلى الله عليه وسلم لخالد أن مثله لا ينبغي أن يجهل الإسلام ولا أن يتأخر عن اعتناقه، خاصة وأنه صاحب قوة وبأس ونكاية، وعقل، ودهاء وفكر، قد أهدر ذلك كله فيما لا ينفع، ولو جعل هذه النكاية وهذا البأس لله لكان خيرًا له، ولقدمه النبي صلى الله عليه وسلم على غيره، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليقدمه على غيره مجاملة له لكنه عليه الصلاة والسلام كان يعرف معادن الرجال، ويعلم ما يتمتع به خالد من صفات قيادية وخبرات حربية تجعله أهلاً لأن يقدمه على غيره، وبهذه الروح وتلك الأخلاق النبوية استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ بيد خالد إلى جادة الطريق الله سبحانه.

الصدع بالحق دونما كذب أو مواربة:

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوضح الناس في نشر دعوته، وتسويق بضاعته، يسير على منهج رباني دقيق، لا يتقدم بين يدي الله بشيء، ولا يخفي شيئًا من ذلك الحق، ولا يترخص فيما لم يأذن فيه ربه جل وعلا، ولا يتحول عن الحق والمنهج الذي يسير عليه قيد أنملة، ولا يقبل المساومة في دين الله تعالى مهما كلفه ذلك من ثمن غال، كيف لا وقد قال له ربه سبحانه وتعالى: « وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا » [الإسراء: ٧٤]، ومن أمثلة رضوخه في دعوته صلى الله عليه وسلم ما ذكره ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (١٣٩/٣).

ذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يُقال له: «بيحرة بن فراس»: «والله لو أخذت هذا الفتى (يعني النبي صلى الله عليه وسلم) من قريش لأكلتُ به العرب، ثم قال له: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء». فقال بيحرة: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك.

وذكر أن شيخًا لهم كبيرًا لامهم بعدما رجعوا على رد هذه الدعوة، وقال: «والذي نفس فلان بيده ما تقوّلها إسماعيليّ قط، وإنها لحقّ فأين رأيكم كان عندكم؟» انتهى.

ومما لا شك فيه أن قول هؤلاء القوم للنبي صلى الله عليه وسلم: «أيكون لنا الأمر من بعدك». مشهد يبين طريقة تفكير أهل الجاهلية حينما يتعلقون بدنياهم ولا يلتفتون إلى شيء من الدار الآخرة. تلك الروح الجاهلية هي التي تحول بين أهلها وبين سماع الحق وتدبره.

وللأسف فإن هذا الحال يوجد في واقع كثير من المسلمين اليوم، فحينما يُعرض عليه عمل دعوي فإن نظرته تكون أول ما تكون إلى العائد المادي المالي الذي سيعود عليه من وراء تلك المشاركة، وما هو حجم الخطر الذي سيواجهه إن أقدم على المضي في هذا الطريق، ويظل يحسبها يمينًا وشمالاً، ويمده الشيطان مدًا فيضخم له حجم الخسارة التي سيخسرها، ويُهوِّن عنده المكاسب التي سيحصلها ليحجم عن هذا الطريق، والله تعالى حذر من ذلك فقال: « يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ » [الأعراف: ٢٧].

فقد جاء الشيطان أبانا آدم ووسع له دائرة الحرام، وضيق عليه دائرة الحلال: « فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ » [طه: ١٢٠]، وقال لهما: «مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ» [الأعراف: ٢٠]، فيأتي الشيطان إلى الداعية ويقلل في عينه مستقبله الأخروي، ويشغله في التفكير بما يزدحم على عقله من التطلعات الدنيوية والمكاسب العاجلة، وأصحاب هذا الفكر، وحملة هذا الشعور يشبهون أهل الجاهلية الذين يقدمون أمر مستقبلهم الدنيوي على مستقبلهم عند الله تعالى الذين هم عما عنده غافلون، لا شك أن في هؤلاء جاهلية وإن كانوا مسلمين.

لكن النبي صلى الله عليه وسلم رد على ذلك العرض الجاهلي برد يبين فيه عظمة توحيده لربه سبحانه، وقوة استسلامه له وتفويضه الأمر إليه وحده سبحانه، ولم يتقدم على ربه بأمر يختص بالله جل وعلا، موضحًا وضوحه في دعوته وثباته على عقيدته مع قلة أتباعه واحتياجه صلى الله عليه وسلم لتأليف قلوب العرب نحوه، وافتقاده النصير الذي يكثر به سواده لأن الأهم عنده صلى الله عليه وسلم أن يلزم الطريق الذي شرعه له ربه ولو قل أنصاره، فالله تعالى أكثر ناصراً وأعظم جنداً.

والحمد لله رب العالمين.

المذهب الوسطي لأبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات

سيراً على خُطَى الأشعري.. أئمة الخلف يتراجعون إلى ما تراجع إليه الأشعري وكان عليه سلف الأمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد: ففيما يمثل ظاهرة جديرة بالاعتبار، وتُعد سنة حسنة واجبة الاتباع، تراجعت ثلة من أئمة أهل الكلام من الخَلف إلى ما تراجع إليه أبو الحسن الأشعري، وكان عليه سلف الأمة الصالح في توحيد الصفات.. وهذا من لطف الله بعباده وحكمته في تقويم ما اعوج، وفي قيام الحجة على من انحرف عما كان عليه أهل الفطرة من عامة أهل الإيمان.. يقول د. مصطفى حلمي في كتابه (قواعد المنهج السلفي، ص ٢٢١): «وأئمة الأشعرية بعده – يعني: أبا الحسن الأشعري– اتخذوا موقفاً مشابهاً، يثير الانتباه ويدعو لبحث هذه الظاهرة التي تدل على الإخلاص في البحث عن الحقيقة، كما تدل على أنه لا سبيل إلى معرفة أصول الدين إلا من مصادره، من الكتاب والسنة»، وليس من مذهب المتكلمين الذي أطلق العنان للعقل فيما لا قدرة له على استيعابه.

إعداد/ أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

وقد رصد هذه الظاهرة وتحدث عنها بشيء من التفصيل الإمام ابن الجوزي (ت ٥٩٧) في تلبيس إبليس ص ٩٢- ٩٣، وابن أبي العز (ت ٧٩٢) في شرحه للعقيدة الطحاوية ص ١٤٧ وما بعدها، والشنقيطي في (الإقليد) ص ٧٣ وما بعدها، ود. مصطفى حلمي في (قواعد المنهج السلفي) ص ٢٢١ وما بعدها.

كما أقر بها شيخ الإسلام (ت ٧٢٨) في الحموية ص ٧، ومجموع الفتاوى ٤/ ٢٨، ٧٢ وما بعدهما، وتلميذه ابن القيم (ت ٧٥١) في مختصر الصواعق ص ٩، ومن قبلهما الإمام القرطبي (ت ٦٥٦)؛ حيث قال في (المفهم بشرح صحيح مسلم) ٦/ ٥٦٢ - ونقله عنه ابن الوزير (ت ٨٤٠) في (الروض الباسم) ٢/ ١٤ والحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢) في (فتح الباري) ١٣/ ٣٦٢ وغيرهما-: «رجع كثير من أئمة المتكلمين، عن الكلام بعد انقضاء أعمار مديدة وآماد بعيدة، لمَّا لطف الله بهم، وأظهر لهم آياته وباطن برهانه»، فكانوا في تراجعهم نماذج حية تُحتَذى في التجرد للحق، والحفاظ على ثوابت الدين وعقيدة الأمة، واحترام إجماع أئمتها.. ونذكر من هؤلاء من بعد الأشعري:

الجويني يقيم الحجة ويعذر إلى الله وينصح الأمة برفض التأويل كلية:

١- الإمام الحجة عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي (ت ٤٣٨)، فقد ظل حيناً من الدهر متحيراً بسبب تأثره بعلم الكلام الذي تلقاه عن شيوخه، ثم هداه الله بتركه إلى المعتقد الصحيح في فهم الاستواء وسائر الصفات، وما كان منه إلا أن ألّف في ذلك رسالة نافعة قدمها نصيحة لإخوانه أسماها: (النصيحة

في صفات الرب جل وعلا) وهي مطبوعة ضمن (مجموعة الرسائل المنيرية) ١/ ١٧٤: ١٨٧ تحت عنوان: (رسالة في إثبات الاستواء والفوقية)، وكان مما جاء فيها، قوله حاكياً عن تجربته وما آل إليه أمره: «كنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها والوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، فأجد النصوص في كتاب الله وسنة رسوله ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات.. ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم، منهم من يؤول (الاستواء): بـ (القهر والاستيلاء)، ويؤول (النزول): بـ (نزول الأمر)، وأمثال ذلك.

والذي شرح الله به صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا.. هو: علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب إلا ما يليق بالمخلوقين، فما فهموا عن الله استواءً يليق به، ولا نزولاً يليق به، ولا يدَين تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه، فلذلك حرّفوا الكلم عن مواضعه، وعطّلوا ما وصف الله نفسه به».

وأردف يقول: «لا ريب أنا نحن وإياهم، متفقون على إثبات صفات: (الحياة والسمع والبصر، والعلم والقدرة والإرادة، والكلام لله تعالى)، ونحن قطعاً لا نعقل من (الحياة) إلا هذا العَرَض الذي يقوم بأجسامنا، وكذلك لا نعقل من (السمع والبصر) إلا أعراضاً تقوم بجوارحنا، فكما أنهم يقولون: (حياته ليست بعرَض، وعلمه كذلك، وبصره كذلك، وإنما هي صفات كما تليق به، لا كما تليق بنا)، فكذلك نقول نحن: (حياته معلومة وليست مكيفة، وعلمه معلوم وليس مكيفاً، وكذلك سمعه وبصره معلومان ليس جميع ذلك أعراضاً، بل هو كما يليق به، ومثل ذلك بعينه فوقيته، واستواؤه، ونزوله، ففوقيته معلومة ثابتة كثبوت حقيقة السمع والبصر، فإنهما معلومان ولا يُكيَّفان، وكذلك استواؤه على عرشه معلوم غير مكيف بحركة أو انتقال يليق بالمخلوق، بل كما يليق بعظمته)».

يقول: «وجلالة صفاته تعالى معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة له من حيث التكييف والتحديد، فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه، أعمى من وجه.. مبصراً من حيث الإثبات والوجود، أعمى من حيث التكييف والتحديد، وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله نفسه به، وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف، وذلك هو مراد الله منا في إبراز صفاته لنا لنعرفه بها، ونؤمن بحقائقها وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، لا فرق بين (الاستواء والسمع)، ولا بين (النزول والبصر)، الكل ورد في النص، فإن قالوا لنا في الاستواء: (شبَّهتُم)، نقول لهم: (في السمع شبهتم، ووصفتم ربكم بالعَرَض!)، فإن قالوا: (لا عَرَض بل كما يليق به)، قلنا: (في الاستواء والفوقية لا حصر، بل كما يليق به)، فجميع ما يُلزمونا به في (الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب) من التشبيه، نلزمهم به في (الحياة والسمع والبصر والعلم)، فكما لا يجعلونها هم أعراضاً، كذلك نحن لا نجعلها جوارح ولا مما يُوصف به المخلوق؛ وليس من الإنصاف أن يفهموا في (الاستواء والنزول والوجه واليد) صفات المخلوقين، فيحتاجوا إلى التأويل والتحريف، فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات المخلوقين من الأعراض!! فما يُلزمونا به في تلك الصفات من التشبيه والجسمية، نُلزمهم في هذه الصفات في العَرَضية، وما ينزِّهون ربهم به في الصفات السبع وينفون عنه عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبونا فيها إلى التشبيه سواء بسواء».

وعقَّب يقول: «ومن أنصف، عرف ما قلناه واعتقده وقبل نصيحتنا، ودان لله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفى عن جميعها

التشبيه والتعطيل والتأويل والوقوف - عن معرفة المعنى-، وهذا مراد الله منا في ذلك؛ لأن هذه الصفات وتلك جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرّفنا هذه وأوّلناها، كان كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وفي هذا بلاغ وكفاية» [ينظر إلى جانب رسالته ١/ ١٧٦: ١٨٣ مختصر العلو للألباني ص ٢٧، ٧٥، ٢٧٧].

وكلام الجويني هنا الذي رجع إليه، هو - كما نرى - موافق حذو القُذَّة بالقُذَّة لما عليه سائر الأئمة الذين نقلنا إجماعهم على الإثبات لمعان صفات الله تعالى، وذلك بمعرفة معاني ما جاء منها في الكتاب وصحيح السنة دون ما تفويض ولا تكييف ولا تأويل.

إمام الحرمين يجتهد في اتباع طريق سلف الأمة:

٢- وابنه أبو المعالي عبد الملك عالم الشرق وشيخ الشافعية المعروف بإمام الحرمين، (ت ٤٧٨)، كان رأساً لمتأخري الأشاعرة وأحد أعمدة مذهبهم الرئيسة، ومن صريح كلامه في التراجع، قوله في العقيدة النظامية ص ١٦٥، ١٦٨ - وقد نقله عنه ابن تيمية في الحموية ص٥٩ والذهبي في العلو ص ١٨٧ وابن حجر في الفتح ١٣/ ٤١٨ وغيرهم-: «ذهب أئمة السلف عن الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب تعالى، والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقداً، اتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع وترك الابتداع، والدليل القاطع السمعي في ذلك: أن إجماع الأمة حجة متبعة».. إلى أن قال: «فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً ومحتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك قاطعاً وأنه الوجه المتبع»، ثم قال: «فلتجر آية الاستواء والمجيء، وقوله: «لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ..» [ص: ٧٥]، و«ويبقى وجه ربك» [الرحمن: ٢٧]، و«تجري بأعيننا» [القمر: ١٤]، وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره، على ذلك، فهذا بيان ما يجب لله تعالى».

والحق أن إمام الحرمين وإن سلِم - بما ذكره - من شائبة التأويل، إلا أن عبارته بحق تفويض الصفات موهمة؛ إذ لو كان مراده من التفويض تفويض كيفيات تلك الصفات دون معناها المتعارف عليه واللائق بحقه تعالى، فمُسَلَّم به؛ لكون هذا هو معنى إثبات السلف..

أما إن أراد بالتفويض: (تفويض المعاني المفهومة لتلك الظواهر) على ما هو المفاد من كلامه، فعلى ما أفضنا في كتابنا: (موقف السلف من تفويض الصفات)، ليس هذا هو مذهب السلف، فإنهم يفهمون معاني تلك الصفات التي وردت بها النصوص ويعتقدونها، ولكنهم لا يعلمون كيفياتها.. ولو أن أبا المعالي سار في هذا مسيرة أبيه، لأصاب.

ويحكي شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٤/ ١٨، ٧١، ٧٣ - ٥/ ١٠١، ٢٩٩) الأطوار التي مر بها إمام الحرمين، فيفيد أنه وأتباعه خالفوا الأشعري وقدماء أصحابه في الصفات الخبرية فلم يثبتوها، لكن منهم من نفاها، فتأول الاستواء بالاستيلاء، وهذا أول قولي أبي المعالي، ومنهم من توقف في نفيها وإثباتها كالرازي والآمدي، وآخر قولي أبي المعالي: المنع من التأويل.

ويتبرأ من علم الكلام متمنياً أن يموت على دين العجائز

وعلى أي حال، فإن مما يدل على صدق توجه إمام الحرمين في ترك ما كان عليه الخلف جملة وتفصيلاً، قوله عقب مقولته الملبسة هذه وقبيل وفاته - وقد تضافر أهل العلم [من نحو: ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص٩٢ والقرطبي في المفهم ٦/ ٥٦٣، وابن تيمية في الحموية ص٧ ومجموع الفتاوى ٤/ ٧٣ والفتاوى الكبرى ٥/ ٣٠٠، وابن القيم في مختصر الصواعق ص٩ والذهبي في السير ١٨/ ٤٧٤ وابن أبي العز في شرح الطحاوية

ص ١٤٨، وابن الوزير في الروض الباسم ٢/ ١٤ وابن حجر في الفتح ١٣/ ٣٦٢ وابن العماد في الشذرات ٣/ ٣٦١ والألباني في مختصر العلو ص٢٧٦ وغيرهم] على نقله عنه-: «قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً، وركبت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه - يعني علم الكلام - وغُصت في كل شيء نهى عنه أهل العلم في طلب الحق فراراً من التقليد، والآن رجعت إلى كلمة الحق، واعتقدت مذهب السلف، فإن لم يدركني الله بلطفه وأموت على دين العجائز وتُختم عاقبة أمري على الحق وكلمة الإخلاص، وإلا فالويل لابن الجويني».

وفي خبر عنه فيما آل إليه حاله قبيل وفاته، يقول ابن الجوزي في كتابه (المنتظم ١٦/ ٢٤٥): «كان الجويني قد بالغ في الكلام وصنّف الكتب الكثيرة فيه، ثم رأى أن مذهب السلف أولى»، ويحكي الذهبي في العلو ص١٨٨ وبنحوه في السير ١٨/ ٤٧٤، ومن قبله ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ٥/ ٣٠٠ عن أبي الفتح محمد بن علي الفقيه، قوله: «دخلتُ على الإمام أبي المعالي ابن الجويني نعوده في مرض موته فاقعد، فقال لنا: (اشهدوا عليَّ أني قد رجعتُ عن كل مقالة تخالف السنة، وما قال السلف الصالح، وإني أموت على ما تموت عليه أمي، أو قال: عجائز نيسابور)»، يعني لكونهن مؤمنات على الفطرة، ولم يدرين - على حد ما ذكر الذهبي - ما علم الكلام.

كما يحكى الذهبي في العلو ص١٨٩ والسير ١٨/٤٧٤- ٤٧٧، وابن تيمية في مجموع الفتاوى ٤/ ٦١، ٧٣، وغيرهما، في أسباب توبته بسند صحيح متصل وبأكثر من رواية، أنه وقف مرة عَلَى المنبر وتكلم في أمر العقيدة وفي نفي العلو، وكانَ العارف بالله أبو جعفر الهمداني جالساً في المسجد فَقَالَ له: (أيها الشيخ، دع عنك هذا، دعنا من الجدل ومن النقاش ومن العقليات، وأخبرنا عن الضرورة التي يجدها الإنسان حين يدعو الله عز وجل، فما من داعٍ يدعو الله إلا ويجد ضرورة أن يتجه إِلَى العلو، فما سِرُّ هذه الضرورة الفطرية المغروسة في كل نفس؟!)، فأخذ الجويني يلطم بكمّه في المنبر ويقول: (حيرني الهمداني، حيرني الهمداني) ونزل من عَلَى المنبر، وهذه الواقعة الثابتة المشهورة، تفصح عن أن علم الكلام مصادم للفطرة السليمة.. ومن كلمات إمام الحرمين التي ختم بها حياته قوله - فيما حكاه عنه أبو الحسن القيرواني، وكان ممن يختلفون إلى مجلسه -: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بعلم الكلام، فلو عرفتُ أنه يبلغ بي ما بلغتُ ما تشاغلتُ به».

وإن ما دعاني للإكثار من أدلة ونقول أهل التحقيق بحق رجوع من ذكرنا من أئمة الخلف وممن سنذكر بمشيئة الله، أن هناك من أهل الاجتهاد من يجادل في ذلك بغير علم، فهم ما بين جاهل بحقيقة تفويض السلف فحامل إياه من قِبل المتراجعين على غير وجهه، وما بين سائق لحجج واهية لا ترقى لأن تُناقش مناقشة علمية محايدة كمن يدعي أنّ نَفيهم كان لوجوب التأويل لا لجوازه، وما بين مكذب لما تضافر عليه أهل العلم من أمر رجوعهم، وما بين مستبعد أو منكر لهذا الأمر بما حاصله أن التوبة لم ينقلها غير مخالفيهم أو ممن بينهم وبين من تراجعوا مفاوز، وما بين مدعٍ بأن القائلين برجوعهم لم يأتوا بدليل صَريح من كتبهم أو من أقرب الناس إليهم تفيد أنهم رجعوا عن المنهج الأشعري... إلخ.

وللحديث بقية بمشيئة الله تعالى.



تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٥٢)

قصة تعليم جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم أحب أسماء الله تعالى

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على السنة القصاص والوعاظ والطرقية.

وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق لهذه القصة الواهية.

أولا: متن القصة:

يُرْوَى عن حذيفة بن اليمان قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، ما بُعثت إلى نبي قط أحب إليَّ منك، ألا أعلمك أسماء من أسماء الله، هن من أحب أسمائه إليه أن يُدعى بهن؟ قل: يا نور السماوات والأرض، يا زين السماوات والأرض، يا جبار السماوات والأرض، يا عماد السماوات والأرض، يا بديع السماوات والأرض، يا تاج السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا صريخ المستصرخين، ويا غياث المستغيثين، ومنتهى العابدين، والمفرج عن المكروبين، والمروّح عن المغمومين ومجيب دعاء المضطرين، وكاشف الكرب، ويا إله العالمين، ويا أرحم الراحمين، تزول بك كل حاجة. اهـ.

ثانيا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الطبراني في «المعجم الأوسط» قال: حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي أنه سمع سلام بن سلم، يذكر عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن حذيفة بن اليمان: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد... القصة.

ثالثا: التحقيق

هذا الخبر الذي جاءت فيه هذه القصة الواهية «قصة تعليم جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم أحب أسماء الله» خبر غريب، ولقد بين غرابته الإمام الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٢٩/١)، فقال: «لم يرو هذا الحديث عن منصور إلا سلام بن سلم تفرد به المحاربي». اهـ.

قلت: ما ذكره الإمام الطبراني في بيان غرابة هذا الخبر وأن الراوي سلام بن سلم تفرد بروايته عن منصور وبيّن أنه لم يروه عن منصور إلا سلام، وهذا الكلام لم يأتِ من فراغ بل جاء من كثرة اطلاع الإمام الطبراني على طرق الحديث، وتمييز الطرق التي اشترك فيها عدد من الرواة عن هذا الراوي، عن الطرق التي انفرد بها بعض الرواة عن بعض، وهذا الأمر

لا ينقاد إلا لإمام جهبذ من جهابذة هذا الفن الدقيق الواسع، وقد تعب كثيرًا في إخراج هذا الكتاب على هذه الطريقة، لذلك كان يقول: «هذا الكتاب روحي». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين منهج الإمام الطبراني في كتابه «المعجم الأوسط» من منهجه في «المعجم الكبير» و«المعجم الصغير»، وهذا الأمر مهم جدًا في معرفة مناهج المحدثين عند التخريج والتحقيق فقد تبين من معرفة هذا المنهج حقيقة الخبر الذي جاءت به هذه القصة من حيث وصوله إلينا؛ فهو غريب حيث لم يروه عن منصور إلا سلام بن سلم.

وسلام ابن سلم هذا هو علة هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة، وببيان هذا المنهج لم يكن لسلام بن سلم متابعة تامة ولا قاصرة ولا شاهد، فأصبح سلام بن سلم هو علة هذا الخبر.

أ- قال الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٨/٢٢٢/٢٦٣٧): «سلام بن سلم، ويقال: ابن سليم، ويقال: ابن سليمان، والصواب بن سلم التميمي السعدي، أبو سليمان، ويقال: أبو أيوب، المدائني خراساني الأصل، وهو سلام الطويل، وكان الحوضي يكنيه: أبا عبد الله». اهـ.

قلت: ويتأكد أنه صاحب هذه الرواية من «تهذيب المزي» فإنه ذكره أنه روى عن منصور بن زاذان، وذكر أيضًا أنه روى عنه عبد الرحمن بن محمد المحاربي، ثم ذكر أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه:

١- قال محمد بن موسى بن مُشيش، عن أحمد بن حنبل: روى أحاديث منكرة.

٢- وقال عباس الدوري، وأبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين: ليس بشيء.

٣- وقال أحمد بن سعد بن أبي مريم، عن يحيى بن معين: ضعيف لا يُكتب حديثه.

٤- وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن يحيى بن معين: له أحاديث منكرة.

٥- وقال عبد الله بن علي بن المديني: وسألته يعني أباه عن سلام بن سليمان، فضعفه.

٦- وقال محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي: ليس بحجة.

٧- وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: غير ثقة.

٨- وقال أبو زرعة: ضعيف.

٩- وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث تركوه.

١٠- وقال البخاري: يتكلمون فيه.

١١- وقال في موضع آخر: تركوه.

١٢- وقال النسائي: متروك.

١٣- وقال في موضع آخر: ليس بثقة، ولا يُكتب حديثه.

١٤- وقال أبو القاسم البغوي: ضعيف الحديث جدًا.

١٥- وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش: متروك.

١٦- وقال في موضع آخر: كذاب». اهـ.

ب- هذا ما أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» من أقوال أئمة الجرح والتعديل في سلام الطويل، وقد توفي الإمام المزي رحمه الله سنة ٧٤٢هـ، وإلى القارئ الكريم تخريج أقوال أئمة الجرح والتعديل والتي أخرجها الإمام ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٣/٢٩٩) (٧٦٦/٣٤) فقال:

١- حدثنا أحمد بن علي المطيري، حدثنا عبدالله بن الدورقي قال: يحيى وسلام الطويل ليس بشيء.

٢- حدثنا ابن حماد، حدثنا عباس عن يحيى، قال: سلام بن سلم التميمي ليس بشيء.

٣- حدثنا ابن أبي عصمة، حدثنا أحمد بن أبي يحيى، قال: سمعت يحيى بن معين يقول: سلام الطويل ضعيف الحديث، قال: وسمعت أحمد بن حنبل يقول: سلام الطويل منكر الحديث.

٤- الجنيدي، حدثنا البخاري، قال سلام بن سلم الطويل السعدي المدائني، عن زيد العمي يتكلمون فيه.

٥- سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: سلام بن سلم السعدي الطويل عن زيد العمي تركوه.

٦- وقال النسائي فيما أخبرني محمد بن العباس عنه قال: سلام بن سلم متروك الحديث. اهـ.

قلت: وحتى لا يتقول من لا دراية له بهذه الصنعة الحديثية متوهمًا أن هذا الذي أوردنا عن الإمام ابن عدي المتوفى سنة ٣٦٥هـ تكرار لما ذكره الإمام المزي، ولا يدري أنه تأصيل لما أورده الإمام المزي من أقوال الأئمة؛ حيث بين الإمامين من القرون أربعة قرون، فالإمام المزي أوردها بلا سند، والإمام ابن عدي أخرجها بأسانيدها إلى الأئمة.

جـ- بل هناك التأصيل المباشر لأقوال الأئمة.

١- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٥٢): «سلام بن سليم السعدي الطويل، عن زيد العمي تركوه». اهـ.

٢- وقال الإمام النسائي في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (٢٣٧): سلام بن سليم: «متروك الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح له معناه عند علماء الصنعة حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣): «كان مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٣- لذلك نجد أن الإمام الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (٢٦٥) قال سلام بن سليمان وقيل: ابن سلمان، وقيل: ابن سالم الطويل المدائني متروك». اهـ.

د- قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢/٣٣٥): «سلام بن سلم الطويل السلمي السعدي التميمي، كنيته أبو سليمان من أهل المدائن، وقد قيل سلام بن سليمان يروي عن الثقات الموضوعات، كأنه كان المعتمد لها». اهـ.

هـ- وذكره الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/١٥٨/٦٦٤) قال: «سلام بن سلم المدائني الطويل، ثم خرج أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، والتي أوردناها آنفًا بينا أن سلام الطويل متروك ليس بشيء.

و- وذكره الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/١٧٥/٣٣٤٣) قال: سلام بن سلم ويقال سليم التميمي السعدي الخرساني ثم المدائني الطويل ثم ذكر أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه وأقرها، وبيّن أن سلام الطويل: متروك، ليس بشيء، منكر الحديث لا يكتب حديثه.

قلت: من هذا التخريج والتحقيق يتبين أن قصة «تعليم جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم أحب أسماء الله» قصة واهية غريبة لم يروها عن منصور إلا سلام الطويل، وتفرد به المحاربي عنه، وسلام كما بينا آنفا كذاب متروك ليس بشيء فالخبر تالف والقصة واهية.

رابعا: بدائل صحيحة

قصة الرجل الذي دعا باسم الله العظيم.

أخرج الإمام النسائي في «السنن» (٣/٥٢) قال: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا خلف بن خليفة عن حفص بن أخي أنس عن أنس بن مالك قال: «كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا يعني ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد وتشهد دعا فقال في دعائه: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «تدرون بما دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى». اهـ.

قلت: وهذا الحديث أخرجه أيضًا الإمام أبو داود في «السنن» (ح١٤٩٥).

وكذلك أخرجه أحمد في «المسند» (٣/١٥٨) (ح١٢٥٤٨). وابن حبان (ح٢٣٨٢- موارد). والحاكم في «المستدرك» (١/٥٠٣).

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.



قصة ذي القرنين

«إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا»

الحلقة الثانية

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير سبحانه، إنه على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على البشير النذير نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين، أما بعدُ:

فنتابع معك أخي القارئ الكريم وقفاتنا مع قصة العبد الصالح والملك العامل ذي القرنين، ونبدأ مع الوقفة الثالثة وهي حول قوله تعالى: «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا» [الكهف: ٨٤]، وهذا هو المراد من الذكر الذي يتلوه الله علينا من قصة ذي القرنين، وهو الذي ينتفع به في حياتنا وسياسة أمورنا، المثال الصالح للحاكم الذي يمكّنه الله من ربوع الأرض شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا، فلا يتكبر ولا يتجبر ولا يطغى ولا يتبطر ولا يتخذ الفتوحات وسيلة للاستبداد واستغلال الشعوب والثروات والأوطان، بل ينشر العدل في كل مكان يذهب إليه وينصر المظلوم ويحاسب الظالم، ويحقق الأمن والرخاء، وينسب الفضل في كل شيء إلى الله، وليس إليه بل رحمة من ربه.

قال تعالى: «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ» [الكهف: ٨٤]، قال ابن كثير رحمه الله: أي أعطيناه ملكًا عظيمًا مكنًا فيه من جميع ما يؤتى الملوك من أمثاله من التمكين والجنود والآلات الحربية، ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض ودانت له البلاد، وخضعت له الملوك، وخدمته الأمم من العرب والعجم، ويسر له أسباب البناء والعمران ما هو من شأن البشر أن يُمَكَّنوا في هذه الحياة. اهـ. بتصرف يسير.

وقوله تعالى: «وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا» [الكهف: ٨٤]، قال ابن عباس: علمًا. وقال قتادة وابن زيد وابن جريج والضحاك وإسحاق: علمًا تسبب به إلى ما يريد، أو علمًا يوصله إلى حيث يريد، وقال المبرد: وكل ما وصل شيئًا بشيء فهو سبب، والمقصود: قد أوتي من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سببًا. والله تعالى أعلم.

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «ليس معنى (من كل شيء) أنه يعمُّ جميع الأسباب، أو يعم كل شيء على الإطلاق، بل المراد من كل شيء يحتاج إليه في قوة السلطان والتمكين في الأرض». اهـ.

ونقول: نعم. وهذا له نظائر في القرآن الكريم كثيرة؛ منها ما ذكره الله سبحانه من قول الهدهد عندما وصف ملكة سبأ وملكها: «وَأُوتِيَتْ مِن

كُلِّ شَيْءٍ» [النمل: ٢٣]، ومعلوم أنها لم تؤت ملك السماوات والأرض، ولا حتى ملك الأرض وحدها، كذلك قال تعالى عن الريح التي أرسلها على قوم عاد: «تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ» [الأحقاف: ٢٥]. فهذا استثناء من كل شيء دمرته الريح.

فليست (كل شيء) على إطلاقها، وليس في ذلك تقليل من ملك ذي القرنين، ولكن فيه ردٌّ على الأساطير التي جاءت من عند أهل الكتاب، ونقلها بعض من أسلم مثل كعب الأحبار من أن ذا القرنين كان يربط فرسه في الثريا، وقد رد عليه معاوية رضي الله عنه مبطلاً هذا الزعم الباطل الذي فيه مبالغة ومغالاة أقرب إلى الأساطير.

الوقفة الرابعة مع قوله تعالى: «فَأَتْبَعَ سَبَبًا» [الكهف: ٨٥] أي: تتبع السبب الموصل لمقصوده، فإنه كان حازمًا، فانتفع بما أعطاه الله تعالى من الأسباب؛ لأن من الناس من ينتفع، ومن الناس من لا ينتفع، ولكن هذا الملك أخذ الأسباب التي وهبه الله إياها واجتهد في تفعيلها في رحلته في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، سبحانه وتعالى، وهنا لنا وقفة.

فإن الأخذ بالأسباب التي يستطيعها المرء لا ينافي التوكل، ولا يقدح فيه، بل ترك الأسباب هو الذي يقدح في التوكل؛ لأن سر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: «توكلت على الله» مع اعتماده على غيره سبحانه، وركونه إلى الأسباب المادية، وقد نقل الإمام ابن تيمية رحمه الله عن كثير من السلف قولهم: «التفات القلب إلى الأسباب قدحٌ في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا قدح في العقل، والإعراض عن الأسباب قدح في الشرع». اهـ. التحفة العراقية.

الوقفة الخامسة (رحلته إلى الغرب) مع قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ» [الكهف: ٨٦] أي: سلك الطريق الذي يسَّره الله له وجدَّ واجتهد في المسير باتجاه الغرب، حتى إذا بلغ موضعًا ما على شاطئ الماء وجد الشمس تغرب في عين حمئة، وهذا بحسب ما تراه العين من مكان بعيد وإلا فالشمس في السماء والعين الحمئة في الأرض.

و«الحمئة» معناها: الطين الأسود.

الوقفة السادسة مع قوله تعالى: «وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا» [الكهف: ٨٦- ٨٨].

إن من أهم واجبات الإمام الممكَّن حفظ الدين، وسياسة الدنيا به، وها هو ذو القرنين يمارس دوره المنوط به في حفظ الدين والعمل به، فيطبق مبدأ الثواب والعقاب، ومبدأ الجزاء من جنس العمل، فيعاقب الظالم على ظلمه، ويحسن معاملة المؤمن الذي يعمل الصالحات، ويؤكد عقيدة البعث والجزاء، وأن الخلق عائدون إلى الله ولا بد، فيضاعف عذاب الظالمين، ويجازي المحسنين بإحسانهم أجرًا عظيمًا.

وقيام ذي القرنين بمعاقبة الظالمين والإحسان للمحسنين يرسِّخ قاعدتي الحزم والعدل اللتان تُساس بهما الدولة المسلمة، ويذكرنا بمسلك سليمان عليه السلام ومملكته.

وأمور الناس إن لم تُساس بالحزم صارت الأمور إلى الفوضى التي لا يأمن فيها الناس على أموالهم ولا دمائهم ولا أعراضهم، وسقطت هيبة السلطان، وانهارت أركان الدولة، وآلت الأمور إلى الرعاع من الناس، فعاثوا في الأرض فسادًا، وكذلك إن لم تُساس بالعدل تعرضت لعقوبة من الله عاجلاً أو آجلاً؛ لأن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة حتى وإن كانت مسلمة، فاتقوا الظلم فإنه الظلم ظلمات في الدنيا والآخرة.

وكم نحن في حاجة إلى الحزم والعدل في إدارة شئوننا بعد الذي نعيشه الآن من فوضى عمت أرجاء البلاد صار فيها الرويبضة يتكلمون في أمور العامة، بل أصبحوا يتحكمون في مصالح الدولة، ويعطلون مسيرتها نحو العمل والإنتاج، والغريب في الأمر أن أجهزة الإعلام الضالة المضللة تسمى هؤلاء «ثوارًا»، فكيف صار الحرق والتخريب وإلقاء الحجارة والمولوتوف على رجال الأمن وحرق الممتلكات العامة والخاصة، كيف يصير ذلك عملا ثوريًا إلا في زمن انقلبت فيه الموازين، وصار الحق باطلاً والباطل حقًا.

وإن تعجب من ذلك فإن الأعجب هو عجز الدولة بمؤسساتها الأمنية والعسكرية والقانونية عن وضع حد لهذه الفوضى، وكأن الجميع يعمل لتحقيق ما خططت له أمريكا منذ طرح مشروع الشرق الأوسط الجديد والفوضى الخلاقة.

أسأل الله أن يخيب ظن المتربصين ويرد كيد الكائدين، ويحفظ مصر آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين، وإلى لقاء قريب بإذن الله.

الجزاءُ من جنسِ العَمَلِ

إعداد/ أيمن دياب

الحَمْدُ للهِ ذِي الطَّوْلِ وَالآلاءِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الأَتْقِيَاءِ.

أَمَّا بَعْدُ: فيا أيها القارئ الكريم ، اعلم أنَّه قد جرت سُنة الله تبارك وتعالى في البشر أن جعل بعضهم لبعض سُخريًا، لا تتم لهم سعادتهم إلا بالتعاون والتواصل، ولا تستقر حياتهم إلا بالتعاطف وفشو المودة، يرفق القويُّ بالضعيف، ويُحسن المكثر على المقل. ولا يكون الشقاء ولا يحيق البلاء إلا حين يفشو في الناس التقاطع والتدابر، ولا يعرفون إلا أنفسهم، ولا يعترفون لغيرهم بحق.

عبرة وعظة:

القارئ الكريم: عزيزٌ على النفس الكريمة المؤمنة أن ترى مسكيناً بليت ثيابه حتى تكاد تُرى عورته، أو تبصر حافيَ القدمين أدمت حجارة الأرض أصابعه وقطعت عقبيه، أو تلحظ جائعاً يمدُّ عينيه إلى شيءٍ غيرِه فينقلب إليه البصر وهو حسير.

حين تفشو مثل هذه الأحوال، ثم لا يكترث القادرون، ولا يهتمُّ الموسرون فكيف يكون الحال؟! وأين وازع الإيمان؟! ولكنَّ الله برحمته حين خلق المعروف خلق له أهلاً، فحبَّبه إليهم، وحبَّب إليهم إسداءه، وجَّههم إليه كما وجَّه الماء إلى الأرض الميتة فتحيا به ويحيا به أهلها، وإن الله إذا أراد بعبده خيراً جعل قضاء حوائج الناس على يديه، ومن كثرت نعم الله عليه كثر تعلق الناس به، فإن قام بما يجب عليه لله فيها فقد شكرها وحافظ عليها، وإن قصَّر وملَّ وتبرَّم فقد عرَّضها للزوال ثم انصرفت وجوه الناس عنه.

وقد ورد في الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلَّه أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ»[السلسلة الصحيحة للألباني ح(١٦٩٢)].

عَنِ ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ، ثم جَعَلَ شَيْئًا مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ إِلَيْهِ فَتَبَرَّمَ، فَقَدْ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ» [صَحيح التَرغيب للألباني ح(٢٦١٨)].

صنائع المعروف:

وإن في دين الله شرائع محكمةً لتحقيق التواصل والترابط، تربي النفوس على الخير، وترشد إلى بذل المساعدات وصنائع المعروف.

فعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم:«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ ح(٢٦٩٩)].

هذا يرجعُ إلى أنَّ الجزاءَ من جنس العمل، وقد تكاثرت النصوصُ بهذا المعنى، كقوله صلى الله عليه وسلم:«إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وقوله صلى الله عليه وسلم:«إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ ح(٢٦١٣)]. والكُربة: هي الشدَّةُ العظيمة التي تُوقعُ صاحبَها في الكَرب، وتنفيسُها أن يُخفَّف عنه منها، مأخوذٌ منْ تنفيس الخناق، كأنه يُرخى له الخناق حتَّى يأخذ نفساً، والتفريجُ أعظمُ منْ ذلك، وهو أنْ يُزيلَ عنه الكُربةَ، فتنفرج عنه كربته، ويزول همُّه وغمُّه، فجزاءُ التَّنفيس التَّنفيسُ، وجزاءُ التَّفريج التَّفريجُ.

وقوله صلى الله عليه وسلم:«كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، ولم يقل: «من كُرب الدُّنيا والآخرة» كما قيل في التَّيسير

والسَّتر، وقد قيل في مناسبة ذلك: إنَّ الكُرَبَ هي الشدائدُ العظيمة، وليس كل أحد يحصُل له ذلك في الدُّنيا، بخلاف الإعسار والعورات المحتاجة إلى الستر، فإنَّ أحداً لا يكادُ يخلو في الدُّنيا من ذلك، ولو بتعسُّر بعض الحاجات المهمَّة. وقيل: لأنَّ كُرَبَ الدُّنيا بالنسبة إلى كُرَب الآخرة لا شيء، فادَّخر الله جزاءَ تنفيس الكُرَب عندَه، لينفسَ به كُرَبَ الآخرة.

وقوله صلى الله عليه وسلم:«وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِر، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». هذا أيضاً يدل على أنَّ الإعسار قد يحصُل في الآخرة، وقد وصف الله يومَ القيامة بأنه يومٌ عسير، وأنه على الكافرين غيرُ يسير، فدل على أنه يسير على غيرهم، وقال: «وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا» [الفرقان: ٢٦].

والتيسير على المعسر في الدنيا من جهة المال يكون بأحد أمرين: إمَّا بإنظاره إلى الميسرة، وذلك واجبٌ، كما قال تعالى: «وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ» [البقرة: ٢٨٠]، وتارةً بالوضع عنه إن كان غريماً، وإلاَّ فبإعطائه ما يزولُ به إعسارُه، وكلاهما له فضل عظيم.

ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

وخرَّج مسلم مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ» [رَوَاهُ مُسْلمٌ ح(١٥٦٣)].

وخرَّج أيضاً مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْيُسْرِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّه» [رَوَاهُ مُسْلمٌ ح(٣٠٠٦)].

وقوله صلى الله عليه وسلم:«وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». هذا مما تكاثرت النصوص بمعناه. وخرَّج ابن ماجه مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:«مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ» [السلسلة الصحيحة للألباني ح(٢٣٤١)].

وقد رويَ عن بعض السَّلف أنَّه قال: أدركتُ قوماً لم يكن لهم عيوبٌ، فذكروا عيوبَ الناس، فذكر الناسُ لهم عيوباً، وأدركتُ أقواماً كانت لهم عيوبٌ، فكفُّوا عن عُيوب الناس، فنُسيت عيوبهم. [انظر: الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي (٤٨٣٠)].

وقوله صلى الله عليه وسلم:«وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» يعني أنك إذا أعنت أخاك كان الله في عونك كما كنت تعين أخاك.

قال ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١٠٧/١): كان أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه يحلبُ للحيِّ أغنامهم، فلمَّا استُخلف، قالت جاريةٌ منهم: الآن لا يحلبُها، فقال أبو بكر: بلى وإني لأرجو أن لا يغيِّرني ما دخلتُ فيه عن شيء كنتُ أفعله.

وإنما كانوا يقومون بالحلاب؛ لأنَّ العربَ كانت لا تَحلُبُ النساءُ منهم، وكانوا يستقبحون ذلك، فكان الرجالُ إذا غابوا، احتاج النساءُ إلى من يحْلُبُ لهنَّ.

وكان عمر يتعاهد الأرامل فيستقي لهنَّ الماءَ بالليل، ورآه طلحةُ بالليل يدخلُ بيتَ امرأة، فدخلَ إليها طلحةُ نهاراً، فإذا هي عجوزٌ عمياءُ مقعدةٌ، فسألها: ما يصنعُ هذا الرَّجلُ عندك؟ قالت: هذا له منذ كذا وكذا يتعاهدني يأتيني بما يُصلحُني، ويخرج عني الأذى، فقال طلحة: ثكلتك أمُّك طلحةُ، عثرات عمر تتبع؟! [أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤٧/١ - ٤٨)].

صفو العيش لا يدوم:

أيها الكريم: إن صفو العيش لا يدوم، وإن متاعب الحياة وأرزاءها ليست حكراً على قوم دون قوم، وإن حساب الآخرة لعسير، وخذلان المسلم شيء عظيم.

بل إن بعض غلاظ الأكباد وقساة القلوب ينظرون إلى الضعيف والمحتاج وكأنه قذى في العين.. يزلقونه بأبصارهم في نظرات كلها اشمئزاز واحتقار. ألا يعتبر هؤلاء بأقوام دار عليهم الزمان وعَدَت عليهم العوادي، واجتاحتهم صروف الليالي... فاستدار عزهم ذلاً، وغناهم فقراً، ونعيمهم جحيماً؟!

تجارة مع الله رابحة:

أيها الكرام: أصلحوا ذات بينكم، ولتكن النفوس سخية، والأيدي بالخير ندية، واستمسكوا بعرى السماحة وسارعوا إلى سداد عوز المعوزين، ومن بذل اليوم قليلاً جناه غداً كثيراً.. تجارة مع الله رابحة، وقرض لله حسن مردود إليه أضعافاً مضاعفة.. إنفاق بالليل والنهار والسر والعلن: «الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» [البقرة: ٢٧٤]، واحفظوا لإخوانكم حقوقهم، واعرفوا فضل الله عليكم.

فمن وُفِّق لبذل معروف أو أداء إحسان فليكن ذلك بوجه طلق ومظهر بشوش، وليحرص على الكتمان قدر الإمكان ابتغاء الإخلاص، وحفاظاً على كرامة المسلم.

واعلم: أن الأدب يبلغ غايته حين يعلم باذل المعروف أن ما يقدمه هو حق لهؤلاء ساقه الله على يديه، فلا يريد منهم جزاءً ولا شكوراً. أما من اتبع إحسانه بالمنِّ والأذى فقد محق أجره، وأبطل ثوابه. يرحمكم الله، ابذلوا الفضل والمعروف بوجه طلق وقصد حسن، تستقم الأحوال، وتتنزل البركات، ويحل التوفيق. [انظر: جامع العلوم (٣٢٠/٢، ٣٤٩)، وصنائع المعروف للشيخ صالح بن حميد].

هذا والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الآداب الإسلامية

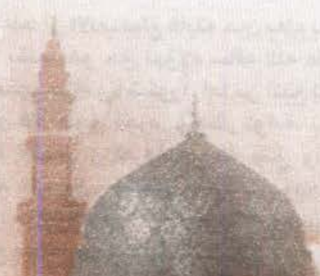


آداب الأخوة والصحبة

مجاهدة النفس في التخلص من داء الغيبة

الحلقة الثامنة

إعداد/ د. سعيد عامر
أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر الشريف



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد بينا في المقال السابق وجوب مجاهدة النفس وتهذيبها، ووجوب الفرار من مجالس الغيبة والشر وأهل البدع، ونكمل بتوفيق الله وعونه، فنقول:

٣- الاشتغال بعيوب النفس قبل الاشتغال بعيوب الناس:

إن الإسلام عالج الأمراض التي تصيب جسد الأمة، وحماها من كل الأمراض؛ حتى تحيا الأمة حياة طيبة بعيدة عن الأسقام والعلل، فالإسلام يعلم أن الصدور إذا أُوغرت تغيرت، وإذا تغيرت تحولت، فكان علاج الإسلام بالبعد عن هذه المناطق المحرمة، وبالاشتغال بعيوب النفس عن عيوب الغير.

فكن أيها المسلم عفيف اللسان، نقي البيان، بعيدًا عن حرمات المؤمنين، وإذا رأيت عورة فاسترها، وتلك مناقب السلف الصالح، فقد قيل لسعيد بن جبير: إنا لا نراك تعيب أحدًا، فقال: لست عن نفسي براض فأتفرغ لذم الناس.

وفي هذا المعنى يقول أحد الحكماء:

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها
لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

فالإسلام يريد منك أن تكون عف اللسان، عذب الحديث، محبًا ومحبوبًا تألف وتؤلف، ولا يكون ذلك إلا بالبعد عن أخبار الناس، والبعد عن تتبع عوراتهم، ولذلك يرسل لنا النبي صلى الله عليه وسلم إشارة كلها تحذير، فقال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من

تتبع عورة امرئ مسلم ليفضحه، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو كان في عقر بيته».

وروى ابن حبان وأبو نعيم في الحلية (٩٩/٤) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، وينسى الجذع في عينه».

فالإنسان لنقصه وحب نفسه يتوفر على تدقيق النظر في عيب أخيه، فيدركه مع خفائه، ويعمى به عن عيب في نفسه ظاهر، لا خفاء به، ولو أنه اشتغل بعيبٍ نفسه عن التفرغ لتتبع عيوب الناس لكفَّ عن أعراض الناس، وسدَّ الباب إلى الغيبة.

عجبت لمن يبكي على موت غيره
دموعًا ولا يبكي على موته دمًا
وأعجب من ذا أن يرى عيب غيره
عظيمًا وفي عينيه عن عيبه عمى

قال الإمام أبو حاتم بن حبان رحمه الله: الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه، فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره، أراح بدنه، ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وإنَّ من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه وتعب بدنه، وتعذَّر عليه ترك عيوب نفسه، وإنَّ من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم وأعجز منه من عابهم بما فيه.

وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ذكروا رجلاً فقال: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك، فاذكر عيوبك.

وجاء في عيون الأخبار (٣٦٧/٦): لقي زاهد زاهدًا، فقال له: يا أخي، إني لأحبك في الله، قال الآخر: لو علمت مني ما أعلم من نفسي لأبغضتني في الله، قال له الأول: لو علمتُ منك ما تعلم من نفسك، لكان لي فيما أعلم من نفسي شُغل عن بغضك.

وعن محمد بن سيرين رحمه الله قال: كنا نحدثُ أن أكثر الناس خطايا أفرغهم لذكر خطايا الناس.

وقال الفضيل بن عياض: ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد، وبغى، وتتبع عيوب الناس، وكره أن يُذكر أحد بخير. [راجع جامع بيان العلم ١٤٣/١].

وسمع أعرابي رجلاً يقع في الناس، فقال: استدللتُ على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس؛ لأن الطالب لها يطلبها بقدر ما فيه منها.

وعن شريك قال: سألت إبراهيم بن أدهم عما كان بين علي ومعاوية، فبكى، فندمت على سؤالي، فرفع رأسه فقال: إنه من عرف نفسه اشتغل بنفسه، ومن عرف ربه اشتغل بربه عن غيره.

وقال الشافعي: قيل لعمر بن عبد العزيز: ما تقول في أهل صفين؟ قال: تلك دماء طهَّر الله يدي منها، فلا أحب أن أخضب لساني بها.

وعن إبراهيم قال: إني لأرى الشيء مما يُعاب، ما يمنعني من غيبته إلا مخافة أن أبتلى به.

وذلك لأن من اغتاب اغتيب، ومن عاب عِيبَ، فبحثه عن عيوب الناس يُورث البحثِ عن عيوبه، ولعل في قاعدة «الجزاء من جنس العمل» زاجرًا للذين يخوضون في عيوب الناس، فيكتمون عنها خشية أن يعاملوا بالعدل، فإن البلاء موكل بالقول.

لو شاء ربك كنت أيضًا مثلهم
فالقلب بين أصابع الرحمن

قال ابن سيرين: عيَّرت رجلاً، وقلت: يا مفلس، فأفلست بعد أربعين سنة.

وعن الأعمش قال: سمعت إبراهيم يقول: إني لأرى الشيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلم فيه إلا مخافة أن أبتلى بمثله.

وعن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم أنهما قالا: الحدث حدثان: حدث من فيك، وحدث من نومك، وحدث الفم أشد: الكذب والغيبة. نسأل الله أن يطهر قلوبنا وألسنتنا من كل مكروه وسوء، وصلى الله وبارك على نبينا محمد وآله وسلم، وللحديث بقية إن شاء الله.

دفاع عن السنة

الحلقة الثانية

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد؛

فإن من الشُّبَه التي رددها أعداء السنة في عدم حجيتها، أنه لو كانت السنة حُجَّة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها، ولجُمِعَت في عصر الصحابة والتابعين، وحيث إنها لم تُجمع في عصر النبوة، وكذا في عصري الصحابة والتابعين، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابتها، وأمر بمحو ما كُتب منها، وكان بعض الصحابة ينهى عن كثرة التحديث بالسُّنَّة، وبعضهم امتنع عن التحديث بها، كل ذلك يورث الشك في السنة، وعدم القطع بحجيتها، ويجعلها جديرة بعدم الاعتماد عليها، وأخذ الأحكام منها.

واستدل هؤلاء على شبهتهم الداحضة بنصوص من السنة منها:

١- قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار». رواه مسلم.

٢- ما رواه شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عمر رضي الله عنه حبس ثلاثة هم ابن مسعود وأبو الدرداء وأبو مسعود الأنصاري؛ وذلك لكثرة تحديثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- ما رُويَ عن يحيى بن جعدة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنة، ثم بدا له ألا يكتبها، ثم كتب في الأمصار: من كان عنده شيء فليمحه.

٤- ما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما في نهيه عن الكتابة؛ حيث قال: إنما ضل من كان قبلكم بالكتب، وإنا لا نَكْتُب ولا نُكْتِب.

٤- ما رُوي عن أبي بردة أنه قال: كتبت عن أبي كتبًا كثيرة، فقال: ائتني بكتبك فأتيته بها فغسلها.

٥- ما روي عن سليمان بن الأسود المحاربي أنه قال: كان ابن مسعود يكره كتابة العلم.

٦- ما رُوي عن أبي يزيد المرادي أنه قال: لما حضر الموت لعبيدة دعا بكتبه فمحاها.

٧- وما يروى عن إبراهيم النخعي أنه كان يكره أن يكتب الأحاديث في الكراريس، وقال: «لا تكتبوا فتتكلوا».

وهذه الشبهة حوت مسائل حاد فيها أصحابها عن سبيل الحق، وتنكبوا طرق الصواب وحتى نأتي عليها من أطرافها فتنهار كما انهار سابقوها نقول وبالله التوفيق:

صيانة الحجة في عدالة الراوي، سواء كان حمل هذه الحجة عن طريق الحفظ أو عن طريق الكتابة، أو الفهم لمعناها فهمًا دقيقًا والتعبير عنها بلفظ واضح المعنى والدلالة، والمعتمد عليه في ذلك هو عدالة الراوي عند التحمل والأداء، فإذا سقطت عدالة الراوي فإن ما كتبه يسقط ولا نثق فيه، فالعبرة إذن ليست بالكتابة، ألا ترى إلى اليهود والنصارى لما تجردوا من صفة العدالة مع كتابتهم للتوراة والإنجيل لم تغنِ عنهم تلك الكتابة لتجردهم من صفة العدالة، فطاشت كتابتهم وذهبت حُجتيها، قال سبحانه: « فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ » [البقرة: ٧٩]، ولذا نستطيع القول: إن الكتابة ليست من لوازم الحجة، ومما يؤكد ذلك المعنى:

١- أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرسل رسله إلى البلدان والآفاق؛ ليبلغوا الأحكام الشرعية للمرسَل إليهم دون أن يكتب لهم كتبًا بهذه الأحكام، وإنما كان يكتفي بعدالة المرسل وحفظه لما يبلغه من قرآن وسنة، وكان ذلك يكفي لإقامة الحجة على المرسَل إليهم.

٢- أن الصلاة وهي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين بيّنها الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بيانًا عمليًا، وقال لهم: «صلوا كما رأيتموني أصلي» رواه البخاري. ولم يأمرهم بكتابة كيفيتها، فدل ذلك على

أن الكتابة ليست من لوازم الحجة.

٣- أن القرآن الكريم لم ينزل من السماء مكتوبًا، وإنما بلغه ملك الوحي جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وبلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمته، وكانت عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ والتنزيل والتحريف تغني عن نزوله مكتوبًا، فكما أن عصمة النبي صلى الله عليه وسلم أغنت عن الكتابة، فإن عدالة الرواة تغني عن الكتابة، فالمرجع إذن لعدالة الرواة وليس للكتابة، مع إيماننا أن العصمة تفيد اليقين، والعدالة تفيد الظن، وتكفي غلبة الظن في كثير من الأفكار الشرعية المتعلقة بفروع الشريعة كما هو مقرر عند الأصوليين، كما أن بلوغ الرواة حد التواتر يفيد العلم القطعي في بعض النصوص النبوية.

٤- إن كتابة غير العدل لا تفيد القطع أو الظن، بل إن حجيتها داحضة، وكذا في البلاغ فربما كتب عدل ثقة وبلغ عنه من ليس بثقة، فعندئذ يسقط البلاغ لعدم الثقة في ناقله، ولذا قالوا: إن الكتابة لا تفيد القطع.

٥- الكتابة دون الحفظ في القوة، ومع إفادة الكتابة للظن في كثير من الأمور، فإنها دون الحفظ في هذه الإفادة، ولذا يقرر علماء الأصول أنه إذا تعارض حديث مسموع مع حديث مكتوب يرجحون المسموع، قال الآمدي: «رواية السماع أولى من رواية الكتاب لبعدها عن تطرق التصحيف والغلط». [الأحكام ١/٣٣٤].

وصحة الرواية بالمكتوب والمسموع متحققة بعدالة الراوي، قال ابن حجر رحمه الله: «شرط قيام الحجة بالمكاتبة أن يكون الكتاب مختومًا، وحامله مؤتمنًا، والمكتوب إليه يعرف خط الشيخ؛ لدفع إيهام التغيير». [فتح الباري ١/١١٥].

فاختلاف العلماء في المكاتبة وحجيتها أكثر من اختلافهم في التحديث وحجيته؛ لذا فالسماع أقوى حجة في الجملة من الكتابة.

٦- الكتابة دون الحفظ عند العرب؛ حيث كانوا أميين يندر بينهم الكتابة والقراءة، فإذا أتقن الكاتب ما كتب فإن القارئ قد يشكل عليه، خصوصًا قبل وضع قواعد النقط والشكل والتمييز بين الحروف المعجمة والمهملة الذي حدث في عصر عبد الملك بن مروان، ولذا فإن جُل اعتمادهم كان على صدورهم؛ فضبط الصدور عندهم تقوم على ضبط الكتابة، فضلاً عن قوة الحفظ التي قل معها الخطأ والنسيان في حالة ضبط الصدر؛ لذا تجد الأعمى أكثر ضبطًا وحفظًا من المبصر، وذلك لقوة حاسة السمع عنده، هذا بالإضافة إلى حدة ذكاء العرب وقوة فهمهم وسعة خبرتهم وبساطة معيشتهم، وطبيعة حياتهم؛ كل ذلك أدى إلى تقوية حاسة الحفظ عندهم، وتقدمها على الكتابة.

٧- قوة الحفظ عند الصحابة والتابعين فاق حفظ العرب؛ ذلك لأن الله اصطفاهم لحفظ شريعته وحمله وتبليغه، بالإضافة إلى الإيمان الذي ملأ صدورهم والرهبة والخوف من رب العالمين من تبليغ شيء لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الأمر يتعلق بالدين وعلى طريق الصحابة سار التابعون في قوة الحفظ عند التحمل والأداء؛ فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يحفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة التي تبلغ خمسة وسبعين بيتًا بعد سماعها لمرة واحدة، وهذا الزهري يقول: إني لأمر بالبقيع فأسد آذاني مخافة أن يدخل فيها شيء من الخنا، فوالله ما دخل أذني شيء قط فنسيته. وقد جاء مثله عن الشعبي.

٨- الحفظ أعظم من الكتابة نفعًا، فالحفظ لا يكون إلا مع الفهم وإدراك المعنى فضلاً عن مراجعة الحفظ آنًا بعد آن لاتقاء النسيان والزوال، والمحفوظ يكون مع المرء في كل زمان ومكان؛ لأنه معه في صدره فيرجع إليه في جميع الأحوال، فلا يكلفه مشقة الحمل التي تكون مع المكتوب مع تعرض المكتوب للتلف والضياع والتبديل، وقد يكون الكاتب كالحمار يحمل أسفارًا شأن بني إسرائيل.

وفي هذا وردت أقوال السلف:

١- وقال الأوزاعي: كان هذا العلم شريفًا عندما كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذاكرونه، فلما صار في الكتب ذهب نوره، وصار إلى غير أهله.

٢- قال بعض الأعراب: حرف في تامورك خير من عشرة في كتبك. [والتامور: العقل].

ولذا قال بعضهم:

استودع العلم قرطاسًا فضيعه
وبئس مستودع العلم القراطيس

وقال الخليل بن أحمد:

ليس بعلم ما هوى القمطر
ما العلم إلا ما حواه الصدر

وقال أبو العتاهية:

من منح الحفظ وعى
من ضيع الحفظ وهم

وقال منصور الفقيه:

علمي معي حيثما يممت أحمله
بطني وعاء له لا بطن صندوق
أنَّى كنت في البيت كان العلم فيه معي
أو كنت في السوق كان العلم في السوق

من كل ذلك يتضح لنا أن الحفظ في الصدور يقدم على حفظ السطور، ولذا نفهم كراهية بعض السلف للكتابة خشية ضياع العلم بالاتكال على الكتابة، وعدم فهم المكتوب وذلك له تفصيل سنبينه في المقال القادم إن شاء الله تعالى.

تحذير الأنام من فتنة الإعلام الهدام

إعداد/ المستشار/ أحمد السيد علي

الحمد لله حمدًا لا ينفد أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد:

فقد تسارعت وتيرة الأحداث السياسية بمصرنا الحبيبة بطريقة تنذر بوقوع ما لا يُحمد عقباه، وقد اشترك في صنع هذه الأحداث وسائل عدة، لعل من أبرزها أغلب وسائل الإعلام الموجودة على الساحة (المرئية، والمسموعة، والمقروءة)، والتي أضحت معاول هدم وتقويض لأركان الشرعية، ولإسقاط المشروع الإسلامي الوليد في مهده.

وللتحذير من فتنة هذا الإعلام نعرض الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: محاولة قلب الحقائق:

يسعى الإعلام الهدّام إلى قلب الحقائق، وإلباس الباطل ثوب الحق والحق ثوب الباطل، وهذه عادة أهل الباطل في صراعهم مع أهل الحق، قال الله تعالى مبيناً لنا ما فعله أهل الجاهلية أنه لما جاءهم نوح عليه السلام يدعوهم ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً، وصفوه بأنه في ضلال مبين!! قال تعالى: «قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ» [الأعراف:٦٠] وهذا هود عليه السلام كما وصف الله -جلّ في علاه- دعا قومه إلى الطريق المستقيم، وإلى طريق النجاة، إلى الله جل في علاه، فقالوا: «إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ» [الأعراف:٦٦]، فاتهموه بالكذب والسفاهة، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام.

قال قوم فرعون: «أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ» [الأعراف:١٢٧]، فقلبوا الحقائق والموازين، فموسى النبي الكريم الذي يرشدهم إلى جنات الله أصبح من المفسدين في الأرض.

وهكذا يصنع أهل الجاهلية مع أهل الصلاح والرشاد!!

وبنفس الطريقة قُوبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أصدق من في الكون، وأعبدهم وأكرمهم على الله سبحانه، فاتهموه بالجنون وبالسحر وبالكذب: «وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ» [الدخان:١٤] وقالوا:«سَٰحِرٌ كَذَّابٌ» [ص:٤]، ورموه بالأباطيل مع أنه الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم. وهكذا قلبوا الحقائق، وجعلوا الباطل حقاً والحق باطلاً؛ ليصدوا عن سبيل الله!!

ومن الأمثلة على ما فعله الإعلام الهدام من قلب للحقائق لصد الناس عن الحق، حملات منع ختان

الإناث، ووصفه بالعادة الفرعونية، وحملة منع التعدد حتى قَبِلَ الناسُ الحرامَ المتمثل في مصاحبة الرجل لامرأة أجنبية ولم يقبلوا شرع الله المتمثل في التعدد.

ومن الأمثلة السياسية وصف البلطجية وجماعات البلاك بلوك والأناركيين والاشتراكيين الثوريين بالمتظاهرين، بالرغم مما تعانيه البلاد من مفاسدهم.

الوقفة الثانية: سياسة الكيل بمكيالين:

وهي سياسة يهودية فعلها اليهود مع مخالفيهم، فعن أنس: أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه إلى المدينة، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمها إلا نبيّ: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول ما يأكل أهل الجنة؟ ومن أين يشبه الولد أباه وأمه؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "أخبرني بهنّ جبريل آنفا". قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: "أمّا أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق، فتحشر الناس إلى المغرب. وأما أول ما يأكله أهل الجنة، فزيادة كبد حوت. وأما الشَبَهُ، فإذا سَبَقَ ماء الرجل نَزَعَ إليه الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزع إليها". قال: أشهد أنك رسول الله، وقال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهْتٌ؛ وإنهم إنْ يعلموا بإسلامي بهتوني، فأرسلْ إليهم، فسَلْهُمْ عنِّي. فأرسل إليهم، فقال: "أي رجل ابن سلام فيكم؟" قالوا: حَبْرُنا وابن حبرنا، وعالمنا وابن عالمنا. قال: "أرأيتم إن أسلم، تسلمون؟" قالوا: أعاذه الله من ذلك! قال: فخرج عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. فقالوا: شرُّنا وابن شرِّنا، وجاهلنا وابن جاهلنا. قال: ويلكم! اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقًا. قالوا: كذبت. فقال: يا رسول الله، ألم أخبرك أنهم قوم بُهْتٌ؟! فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم" [رواه البخاري].

ومن أمثلة ما فعله الإعلام الهدام من سياسة الكيل بمكيالين: وصمهم القضاء بالأخونة إذا جاءت الأحكام على غير ما يشتهون، ووصفهم له بالشامخ إذا قضى على الإسلاميين!!

الوقفة الثالثة: إسقاط الرموز:

لما علم هؤلاء أن الشعوب الإسلامية تتوق إلى تطبيق شريعة ربها، وقامت باختيار الأحزاب الإسلامية التي تضمنت برامجها تطبيق شرع الله؛ فقد عمد هؤلاء إلى تشويه الرموز الإسلامية؛ لفضّ الناس من حولهم، فلا يكون لهم تأثير عليهم في الاختيار، فقاموا بإلصاق الأباطيل بهم، وليس أدل على ذلك مما نُسب لحزب النور بالبرلمان من تقديم مشروع قانون يبيح مضاجعة الزوج لزوجته المتوفاة قبل دفنها، بما عرف بمضاجعة الوداع، وهو ما نفاه الحزب ومجلس الشعب والمجلس القومي للمرأة، وبالرغم من ذلك استمر الإعلام في نشر هذه الفرية لتشويه الإسلاميين، وكذا استغلال خطأ بعض المنتسبين للتيار الإسلامي لتشويه التيار كله، وهو ما لم يفعله كفار قريش مع النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه، فلم يستغل كفار قريش زنا ماعز والغامدية، وتقبيل صحابي لامرأة في بستان وضمها، وذهابه للنبي صلى الله عليه وسلم لإقامة الحد عليه، وشرب بعض الصحابة الخمر، وسب بعض الصحابة زوجة النبي صل الله عليه وسلم، لم يستخدموا ذلك في تشويه الصحابة وتنفير الناس منهم، فكانت أخلاق كفار قريش مع مخالفيهم أرقى من أخلاق بعض الإعلاميين الآن!!

الوقفة الرابعة: إشاعة الفرقة في المجتمع:

وهي سياسة يهودية حذر القرآن منها، قال تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [آل عمران ١٠٥]، وروى الطبري بسنده وغيره عن زيد بن أسلم قال: "مر شاس بن قيس -وكان شيخًا قد عسا في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم- على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة -يعني الأنصار الأوس والخزرج- بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شابًا من يهود وكان معه فقال له: اعمد إليهم فاجلس معهم فذكِّرهم يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا، وقال بعضهم لبعض: إن شئتم رددناها الآن جذعة، وغضب الفريقان

وقالوا: قد فعلنا السلاحَ السلاح، موعدكم الحَرَّة، فخرجوا إليها، وتحاوز الناس على دعواهم التي كانت في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه حتى جاءهم، فقال: يا معشر المسلمين الله الله.. أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم! بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر، وألف بين قلوبكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا!! فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس".

وهذه السياسة يقومون ببثها في المجتمعات التي يريدون السيطرة عليها، ولذلك نشأ مصطلح (فرِّق تَسُد) والإعلام الهدام يسعى جاهداً إلى بلوغ هذه الغاية، فتارة يحرّش بين الجماعات والأحزاب الإسلامية - سيما حزبي الأغلبية- حتى تحدث الفُرقة بينهم، فقد غاظهم اجتماع الإسلاميين على قلب رجل واحد إبان أحداث الاتحادية، ومحاولة إسقاط الرئيس المنتخب، وهبتهم كالليوث يدافعون عنه، فما كان منهم إلا بث الفرقة بينهم فطفت على الساحة خلافات عدة بين الأحزاب الإسلامية. وتارة أخرى يعمدون إلى ضرب الإسلاميين بباقي أطياف المجتمع، فقام أحدهم ببث مقاطع فيديو للإيقاع بين السلفيين والأزهر الشريف، وقاموا بالوقيعة بين الإسلاميين والنصارى، وأشاعوا روح الجدل العقيم بين المصريين حتى لا يكاد المرء يرى اثنين متفقين على مسألة واحدة!!

الوقفة الخامسة: تمييع عقيدة المسلمين:

وهم يتبعون في ذلك سُنة أهل الكتاب، قال تعالى: « وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »[البقرة ١٠٩]، وقال سبحانه: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ » [آل عمران: ١٠٠]، فقاموا بمحاولة طمس الهوية الإسلامية والعقيدة الصحيحة عند المسلمين، فخرج أحد الروائيين ليكتب رواية في إحدى الصحف ليتحدث عن البابا بعد وفاته، وأنه يرفل في نعيم الجنة، مصادماً قوله تعالى: « وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ »[البقرة: ١١١] وقوله سبحانه: « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ » [المائدة: ٧٢].

وأقامت وسائل الإعلام الدنيا ولم تقعدها حينما صرح السلفيون بكفر اليهود والنصارى مصداقاً لقوله تعالى: « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ »[المائدة: ٧٢]، وقوله جل وعلا: «لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ » [المائدة: ٧٣]، وقوله سبحانه: « وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ » [التوبة: ٣٠]، ولم ينقلوا عنهم حمايتهم لهم أثناء الثورة، والذبّ عن دمائهم وأعراضهم وأموالهم تأسياً برسولنا الكريم.

الوقفة السادسة: سبل مواجهة تلك الفتنة:

تكمن سبل مواجهة هذه الفتنة فيما يلي:

أولاً: الانصراف عن متابعة تلك الوسائل الهدامة، قال تعالى: « وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ » [القصص: ٥٥]، مع قيام القنوات المحترمة بفضح ممارساتهم حتى يتبين للكافة فسادهم.

ثانيا: التثبت من صحة الأخبار التي تُنقل لقوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » [الحجرات: ٦].

ثالثا: المسارعة في إنشاء المجلس القومي للإعلام المنصوص عليه بالدستور الجديد، وتفعيل ميثاق الشرف الإعلامي.

رابعًا: المسارعة في إنشاء المجلس الأعلى للتيارات الإسلامية، والذي يضم بين جنباته كافة التيارات الإسلامية؛ للتنسيق فيما بينها في المواقف والأحداث التي تمر بها البلاد، حتى لا يظهر الإسلاميون متشرذمين متفرقين. على أن تكون قراراته ملزمة للجميع. مصداقا لقوله تعالى: «وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ» [الأنفال: ٤٦]. والله الموفق.

ترجمة الشيخ
علي بن عيسى المصري
حامل لواء أنصار السنة بتايلاند

إعداد/ فتحي أمين عثمان

اسمه: علي عيسى المصري.

مولده: ولد عام ١٩٣٣م ببركة السبع، محافظة المنوفية.

العمل: حفظ القرآن الكريم في كُتاب قريب من مسجد الأباصيري بالإسكندرية.

التحق بمعهد الإسكندرية الأزهري، وأكمل الثانوية الأزهرية في شبين الكوم.

التحق بالأزهر الشريف القسم العالي، وتخرج من كلية اللغة العربية عام ١٩٥٨م.

في عام ١٣٧٥هـ قامت مصر والمملكة العربية السعودية وباكستان بتأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي وكان مقرها ١١ ش حسن صبري بالزمالك، القاهرة.

أوفدته المنظمة إلى تايلاند - جنوب شرق آسيا- ليقوم بأمر الدعوة.

بعد أن انتهت مهمة منظمة المؤتمر الإسلامي قام السفير السعودي في تايلاند الشيخ عبد الرحمن بن حسن العمراني بترشيحه مبعوثًا من قبل رابطة العالم الإسلامي، ومشرفًا على دعاة الرابطة في جنوب شرق آسيا.

- وفي عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م رشحه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله مشرفًا على دعاة رئاسة البحوث العلمية والإفتاء الإسلامية التي كان يرأسها الشيخ ابن باز، وظل بها حتى بلغ سن التقاعد.

- يعمل الآن منذ بلوغه سن التقاعد بفرع جماعة أنصار السنة المحمدية بتايلاند مشرفًا على مسجد ومركز الفرقان.

قلتُ: إن جماعة أنصار السنة المحمدية بتايلاند أنشئت زمن الإمام الأول والمؤسس لأنصار السنة المحمدية الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله.

وبذلك يكون عمر الدعوة هناك أكثر من سبعين عامًا، وقد قام رحمه الله ببناء مسجد ضخم في ضاحية من ضواحي بانكوك، واتخذ من المسجد مركزًا للدعوة إلى الإصلاح.

وقد أخبرني الشيخ علي عيسى أنه متزوج من ابنة مؤسس أنصار السنة المحمدية بتايلاند، واسمه الحاج أحمدين محمود المعروف باسم ماتافيكلونتجكام، وقد توفي عام ١٩٩٠م عن عمر جاوز ٩٧ عامًا.

- يشرف الشيخ علي عيسى أيضًا على إصدار مجلة تسمى الرابطة، وهذا اسمها باللغة التايلاندية، وقد مضى على صدورها ٤٤ عامًا.

وهم يترجمون فيها إلى اللغة التايلاندية مقالات من الهدي النبوي ومجلة التوحيد، خاصة ركن السنة من أيام الشيخ محمد علي عبد الرحيم، رحمه الله.

يقول عنه صاحب كتاب «أعلام وعلماء عايشتهم» وهو الشيخ إسماعيل بن سعيد بن عتيق رحمه الله وقد طبعته دار أطلس الخضراء بالرياض.

يقول: الشيخ علي عيسى من تايلاند، مصري الولادة والنشأة، تايلاندي الجنسية والإقامة قابلته في بانكوك عام ١٣٩٥هـ، وقد استضافني في مركزه، وبقيت مدة نتجاذب الأفكار وهو سلفي المعتقد، وقد قام الشيخ علي عيسى بترجمة كثير من الكتب من العربية إلى التايلاندية، وكلها تدور حول العقيدة والأخلاق غير السياسة والحكم.

وقد أفاد الشيخ علي عيسى -والكلام للشيخ عتيق- تايلاند، وبالأخص بانكوك، وكان له دور بارز

في توضيح العقيدة الصحيحة ومنهج أهل السنة والجماعة في توحيد العبادة والأسماء والصفات، كما عمل على إبعادهم عن الطرق الصوفية، وتقديس المقابر وتعظيم الوثنية إلا أن تأثيره بسيط وبطيء خير، فهو لا يرى الحماسة الزائدة والاندفاع، ولكنه مؤسس علم الأصوليات والكليات في الدين، وقد سمى مسجده باسم الإيمان فهو يطمع إلى تعريف الناس الإيمان بالله، وبما تضمنه القرآن الكريم والسنة من التوجيه العقدي الصحيح، وهو التقيد الشرعي المطابق للسنة، أما السياسة والحكم والإدارة فهو في منأى عن هذا كله في مرحلة الدعوة والتربية.

صفاته الخلقية:

يمتاز بمرحه وبشاشته وأسلوبه البياني لمخاطبه، وكثرة الدعوات التي يطلقها على من يخاطبه كقوله رعاك الله، حفظك الله، وقد انتهج الشيخ علي عيسى في الدعوة نهجًا يتفق مع البيئة التايلاندية، وهو الافتقار والرغبة في التأثير على الغير حتى يقال عنه: إنه بذلك الخُلق الداعية لخدمة دينه وأمته الإسلامية، ويصح القول عنه بأنه رجل الدعوة والفطنة، فهو إمام لأهل السنة والجماعة في تلك البلاد التي غطت عليها سحابة الظلمات من الشهوات والشبهات والفجور والحكم للبوذيين.

مركز الفرقان:

يقوم الشيخ علي عيسى بالإشراف على هذا المركز الذي يضم بين جنباته:

- معهد للبنين يمنح الثانوية العامة، ويلتحق خريجوه بالجامعات، وهو معادل لمعهد البحوث الإسلامية بالأزهر للمرحلتين الإعدادية والثانوية.
- معهد للفتيات بنفس الشروط والمستوى.
- يضم المركز مكتبة ضخمة تضم الكثير من الكتب السلفية.
- يشتمل المركز على مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم.
- يصدر المركز مجلة شهرية باللغة التايلاندية لمخاطبة المسلمين والبوذيين وتسمى الرابطة.
- إقامة الندوات والمؤتمرات العلمية والمسابقات في تحفيظ القرآن الكريم والسنة.

وأخيرًا: تقوم جماعة أنصار السنة بتايلاند بأعمال اجتماعية وخيرية، وتقديم مساعدات للفقراء، وكفالة الأيتام وطلاب العلم.

ولمثل هذا فليعمل العاملون، والله من وراء القصد.

افتتاح أكبر صرح طبي لأنصار السنة ببنها

كتب: جمال سعد حاتم

في احتفال مهيب تم افتتاح المستشفى الكويتي التخصصي بمدينة بنها بمحافظة القليوبية تحت رعاية معالي سفير الكويت الدكتور/ رشيد الحمد، راعي الحفل، وبحضور كل من: الشيخ طارق العيسى، رئيس جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، والأخ الحبيب الشيخ فهد الحسينان رئيس لجنة العالم العربي بإحياء التراث، وأمين اللجنة الشعبية لجمع التبرعات بالكويت، وبحضور معالي محافظ القليوبية: أ. د. عادل زايد، وعدد من القيادات الشعبية ورجال الأزهر والأوقاف في المحافظة، ولفيف من مشايخ فروع أنصار السنة.

وقد قام الدكتور عبد الله شاكر، رئيس مجلس إدارة المستشفى، بإلقاء كلمة رحَّب فيها بالحضور، وقدَّم شكره العميق لكل من ساهم في إتمام هذا الصرح الطبيّ الذي يُقدّم خدماته الجليلة لأهالي المنطقة والمحافظات المجاورة.

وقال د. عبد الله شاكر في كلمته: إن المستشفى خلال الفترة التجريبية قدّم مصروفات علاجية تقدر بحوالي ٢ مليون جنيه.

وتقدّم فضيلته بالشكر لله أولاً، ثم لكل من أسهم في إتمام هذا الصرح الطبي العملاق، وفي مقدمتهم اللجنة الشعبية لجمع التبرعات بدولة الكويت الشقيقة ، والمكتب الكويتي للمشروعات الخيرية بالقاهرة، وجمعية إحياء التراث الإسلامي، وعلى رأسها فضيلة الشيخ طارق العيسى، والشيخ فهد الحسينان، وكذلك المهندس ضياء عبد المعطي الزيات.

ومن جانبه أشاد معالي سفير الكويت، وراعي الحفل، بالجهد الذي بُذل في تنفيذ هذا الصرح، مشيرًا إلى أن ما قدّمه الإخوة في الكويت هو نوع من الواجب نحو إخوانهم في بقعة من بقاع مصر الغالية.

كما أكد محافظ القليوبية أن المستشفى يُعَدّ صرحًا طبيًا من أفضل المراكز الطبية التي شاهدها منذ توليه المسئولية، وهو نتاج للتعاون بين مصر والكويت الشقيقة ، متمنيًا دوام هذا التواصل.

وقدم المحافظ الشكر للمسئولين القائمين على المشروع في جماعة أنصار السنة المحمدية على هذا الصرح الذي يفخر به كل مصري.

وقد أقيم المستشفى على مساحة ٣٥٠ مترًا، ويضم قسم الاستقبال، ووحدة الطوارئ، وعيادات خارجية مكونة من إحدى عشرة عيادة في جميع التخصصات، وقسمًا للأشعة، ومعامل للتحاليل الطبية، وقسمًا للغسيل الكلوي، وقسمًا للنساء والتوليد ورعاية الأطفال حديثي الولادة، وقسمًا للعمليات يشمل خمسة غرف عمليات كبيرة وصغيرة، وقسمًا آخر للعناية المركزة، وقسمًا لرعاية القلب، إضافة إلى القسم الداخلي ويشمل أربعين سريرًا إقامة للرجال، وأربعين سريرًا إقامة للنساء، وغرفًا فندقية ثنائية وفردية، وأجنحة خاصة مكيفة.

بالإضافة إلى وجود استراحة عامة لكل طابق من طوابق المستشفى المكونة من ثلاثة عشر طابقًا.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد تتمنى التوفيق لفرع بنها والقائمين عليه، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الآن
مفاجأة سارة
التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٠ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
موسوعة التوحيد ببلاش
بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية .
الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقَدَّم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر .
من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له
أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكًّى من الفرع .
علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة
وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير و صفحة مجلة التوحيد .
هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفروع والمشتركين .
ومفاجأة أخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٣ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ٢٥ جنيها فقط
التوحيد
١٤٣٣
23936517